جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

التراث الإسلامي بين الصراعات السياسية والعقائدية والفكرية عصر الخواجة نصير الدين الطوسي "انموذجا" (٥٩٧- ٦٧٢هـ/١٢٠١- ١٢٧٣م)

إعداد

دكتورة: تيسير محمد محمد شادي
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الآداب – جامعة دمنهور - مصر

(العدد الخامس والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. أكتوبر)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)

علمية- محكمة- نصف سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

التراث الإسلامي بين الصراعات السياسية والعقائدية والفكرية عصر الخواجة نصير الدين الطوسي "انموذجا"(٥٩٧- ٦٧٢هـ/١٢٠١- ١٢٧٣م)

تيسير محمد محمد شادي

قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، كلية الآداب، جامعة دمنهور، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني:taysser.shadi@art.dmu.edu.eg

الملخص:

كان الغزو المغولي أكبر الهجمات التي أصابت العالم الإسلامي ومزقت أوصاله الواهنة، ومن ثم ضياع المركزية السياسية، وسقوط الدولة العباسية، حاضرة الخلافة، وقتل الخليفة المستعصم بالله العباسي (٦٤٠- ٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م)، ولم تقتصر النكبة على القضاء على الخلافة فحسب؛ بل قضت على التراث الإسلامي ومعالم الحضارة الإسلامية، فكان غزوا مدمرًا لشتى مناحي الحياة، غير إنها لم تكن النهاية أبدًا: فإذا كان المسلمون فشلوا –في ذلك الوقت– في التصدي للقوى المغولية عن طريق الحرب، فقد استطاع من بقي من علمائها الانتصار على المغول فكريا، بل وترويضهم لخدمة العالم الإسلامي، والحفاظ على ما بقي من تراثه، بل نستطيع القول: انهم نجحوا في إحيائه من جديد، وكان من بين هؤلاء العلماء: الفيلسوف "نصير الدين الطوسي" (٥٩٧-٦٧٢هـ/١٢٠١- ١٢٧٣م)، الذي كان بمثابة شاهد العيان على ما أصاب العالم الإسلامي خلال تلك الفترة، فقد عاصر تلك الأحداث والانقسامات، وشهد الخلاف والاختلافات، بل وعاش في بلاط المغول أنفسهم، واستطاع أن يساهم بما أوتي من علم وحكمة، وما أصابه من صراع بين المأمول والمفرض وما هو كائن وما يجب أن يكون، في إنقاذ العلم والعلماء وحماية التراث الإسلامي، وإدارة الصراع الحربي والفكري على حد سواء، وقد تم تقسيم البحث إلى: مقدمة وعدة محاور رئيسة، تتمثل في التعريف بالطوسي والعوامل المؤثرة في تكوينه الفكري،

بينما يناول المحور الثاني الطوسي والصراعات المذهبية والعقائدية في قلاع الشيعة الإسماعيلية، ويأتي المحور الثالث للتحدث عن هيمنة الطوسي الفكرية على المغول وحماية التراث الإسلامي، وأخيرا يتناول البحث التراث الفكري الذي تركه الطوسي للعالم أجمع، وذيلت الدراسة بخاتمة حملت بين طياتها أهم النتائج، ثم ملاحق وقائمة حوت مصادر ومراجع الدراسة التيتم الاعتماد عليها.

الكلمات المفتاحية: الطوسي، نصير الدين، المغول، التراث الاسلامي، الصراعات المذهبية، الخلافة العباسية .

Islamic heritage among political, ideological, and intellectual conflicts. The era of Al-Khawaja Nasier Al-Tusi (597–672 AH/1201–1273 A.D.)

Tayseer Mohamed Mohamed Shady
Department of Egyptian and Islamic History and Archeology, Faculty of Arts, Damanhour University, Arab Republic of Egypt.
Email: taysser.shadi@art.dmu.edu.eg

Abstract:
The Mongolian invasion was the largest offensive on the Islamic world and tore apart its already weak corners, thus causing the loss of political centrality, the fall of the Abbasid State, and the assassination of Caliph al-Musta'sim Billah (640–656 AH/1242–1258 AD). The collapse of the Caliphate was only one aspect of the disaster. Given that it was a largely destructive invasion, it led to the destruction of the Islamic cultural legacy and Islamic civilization's monuments. This wasn't, ultimately, the end. Muslim scientists –or what was left of them- could defeat the Mongols intellectually and even tame them to serve the Muslim world, though they were unable to defeat Mongol armies militarily at that time. Technically speaking, those scholars were able to preserve what remained of the Islamic heritage; one can even argue that they succeeded in rejuvenating the Islamic cultural legacy. Among the scholars was the philosopher "Naseer al-Din al-Tusi" (597–672 AH/1201–1273 A.D.), who was an eyewitness to what transpired in the Islamic world during that troubled period. He contemplated those events and divisions, witnessed disagreement and differences, and even lived in the court of the Mongols themselves. He assisted as much as he could using the knowledge and insights he gained. Al-Tusi had a conflict between what was hoped and what was presumed; what should and shouldn’t be, in order to save science and scientists and to protect the Islamic heritage and

cultural legacy. His efforts were notable in saving science and scholars, protecting Islamic heritage, and managing both war efforts and intellectual conflicts alike. The research has been divided into an introduction and several main axes. It starts with the introduction of al-Tusi and the factors that formed his ideology. The second axis deals with al-Tusi and the doctrinal and ideological conflicts within the Ismaili Shiite fortresses, while the third axis tackles al-Tusi's intellectual dominance over the Mongols and the protection of Islamic heritage, and finally, the last axis deals with the intellectual heritage that Al-Tusi left for the whole world. The study was appended with a conclusion that collected the most important results, then appendices, and a list of sources and references
that were relied upon during the making of this paper.

Keywords: Al-Tusi ,Nasier al-Din, The Mongols, Islamic heritage, Sectarian conflicts, The Abbasid Caliphate.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد؛

كان الغزو المغولي أكبر الهجمات التي أصابت العالم الإسلامي ومزقت أوصاله الواهنة، وكان الضعف والتخاذل الذي أصاب العالم الإسلامي في ذلك الوقت؛ من أهم الأسباب التي ساعدت المغول على تحقيق أهدافهم، ناهيك عن الخيانة التي أفرزها الضعف السياسي والانشقاقات المذهبية والانحرافات العقائدية والتناحر الفكري وتفضيل الخاص على العام، ومن ثم ضياع المركزية السياسية.

فقد انقسم العالم الإسلامي إلى ثلاث مركزيات ادعت كل واحدة منها أحقيتها في الخلافة، فكانت الدولة الفاطمية في مصر (٣٥٨-٩٦٩هـ/٥٦٧-١١٧١م) والدولة الأموية في الأندلس (١٣٨- ٤٢٢هـ/٧٥٦-١٠٣١م) اضف إلى ذلك الخلافة العباسية في بغداد(١٣٢- ٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٧م)، حيث شهد العالم الإسلامي ولأول مرة ثلاث خلفاء رسميين في وقت واحد. هذا عدا الولايات الفارسية التي انفصلت انفصالا واقعيا عن الخلافة بلغ هذا الانفصال أعلى مراتبه مع دولة بني بويه (٣٢٠-٤٥٤هـ/٩٣٢-١٠٦٢م)، وكذلك الولايات التركية التي ارتبطت اسميا بالخلافة، والتي كان اعظمها شأنا الدولة السلجوقية (٤٢٩-٥٩٠هـ/١٠٣٨-١١٩٤م)، هكذا بالعالم الإسلامي ممزقا بين الارتباط الشكلي والانفصال الكلي.

وقد أدرك القائد المغولي جينكيزخان (٦٠٣-٦٢٤هـ/١٢٠٦- ١٢٢٧م) أن القوة والوحدة هما أساس النجاح والتفوق، ومن ثم وحد المغول والتتار، بعد تفرقهم إلى بطون وعشائر، واستطاع بتلك الوحدة الانتصار على الإمبراطورية الصينية اقوي جيرانهم، والدولة الخوارزمية أكبر الدول الإسلامية وأقواها في ذلك الوقت، وقد أشاعوا الدمار والخراب في كل مكان، لم يتركوا على الأرض من المسلمين ديارا – سوي من يحتاجون إليه، فكانت حروبهم من الحوادث العظمي،

والمصائب الكبرى التي أصابت العالم الإسلامي، أو كما وصفها ابن الأثير: أنها نعي للإسلام والمسلمين.

وجاء هولاكوخان (٦٥٤-٦٦٣هـ/١٢٥٦-١٢٦٤م) الابن الأكبر لجينكيزخان ليستكمل مسيرة أبيه في الدمار والخراب، ويشعل النيران في الجسد الميت، وينهش دون رحمة ما قد بقي منه، لتكون على يده النكبة الكبرى؛ بسقوط بغداد (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) حاضرة الخلافة، وقتل الخليفة المستعصم بالله العباسي (٦٤٠- ٦٥٦هـ/١٢٤٢- ١٢٥٨م)، ولم تقتصر النكبة على القضاء على الخلافة فحسب؛ بل قضت على التراث الإسلامي ومعالم الحضارة الإسلامية، التي ازدهرت وتلألأت قرونا طويلة بفضل جهود علمائها من العرب والفرس والترك، الذي نالهم ما نال حضارتهم من الدمار، فكان غزوا مدمرًا لشتى مناحي الحياة.

غير إنها لم تكن النهاية أبدًا: فإذا كان المسلمون فشلوا –في ذلك الوقت– في التصدي للقوى المغولية عن طريق الحرب، فقد استطاع من بقي من علمائها الانتصار على المغول فكريا، بل وترويضهم لخدمة العالم الإسلامي، والحفاظ على ما بقي من تراثه، بل نستطيع القول: انهم نجحوا في إحيائه من جديد، وكان من بين هؤلاء العلماء: الفيلسوف "نصير الدين الطوسي" (٥٩٧-٦٧٢هـ/١٢٠١- ١٢٧٣م).

الذي كان بمثابة شاهد العيان على ما أصاب العالم الإسلامي خلال تلك الفترة، فقد عاصر تلك الأحداث والانقسامات، وشهد الخلاف والاختلافات، بل وعاش في بلاط المغول أنفسهم، وفي بلاط المغول؛ واستطاع أن يساهم بما أوتي من علم وحكمة، وما أصابه من صراع بين المأمول والمفرض وما هو كائن وما يجب أن يكون، في إنقاذ العلم والعلماء وحماية التراث الإسلامي، وإدارة الصراع الحربي والفكري على حد سواء؛ بل كان النواة التي أثمرت بانتشار الإسلام بين المغول وتحويلهم من أعداء للإسلام إلى مسلمين مسالمين، في عهد السلطان المغولي أحمد تكودار (٦٨١-٦٨٣هـ/١٢٨٢-١٢٨٤م) ابن هولاكوخان الذي

تولى حكم الإيلخانين بعد وفاة أخيه أباقاخان (٦٦٣-٦٨٠هـ/١٢٦٤-١٢٨١م).

ومن هنا جاءت أهمية البحث والدراسة، للعالم الفيلسوف نصير الدين للطوسي؛ الذي مثل كل مظاهر عصره من صراعات سياسية ومذهبية وفكرية، وما فيها من تناقضات، من دمار وبناء، من سلام واستسلام، تلك الشخصية التي أثير حولها الجدل والنقاش، ما بين مؤيد ومعارض ومحايد، وما بين محب وكاره، ولا سيما أن نصير الدين الطوسي كان شيعي المذهب.

لذا جاءت أهمية البحث في عرض وتحليل للأحداث كما هي دون تحيز أو تحامل، مستعينا في ذلك بالمنهج التاريخي المعتمد على النقد والتحليل والوصف، متجردا تماما من الهوي، حيث يقدم البحث قراءة للعالم الإسلامي خلال تلك الحقبة التاريخية المهمة من خلال شخصية نصير الدين الطوسي، ويعكس الرؤي والاتجاهات التي سادت وأثرت بالسلب والإيجاب على مجريات الأحداث.

وقد تم تقسيم البحث إلى: مقدمة وعدة محاور رئيسة، يتمثل المحور الأول في التعريف بالطوسي والعوامل المؤثرة في تكوينه الفكري، بينما يناول المحور الثاني الطوسي والصراعات المذهبية والعقائدية في قلاع الشيعة الإسماعيلية، ويأتي المحور الثالث للتحدث عن هيمنة الطوسي الفكرية على المغول واستكمال مشروعه العلمي وحماية التراث الإسلامي، وأخيرا يتناول البحث التراث الفكري الذي تركه الطوسي للعالم أجمع، وذيلت الدراسة بخاتمة حملت بين طياتها أهم النتائج، ثم ملاحق وقائمة حوت مصادر ومراجع الدراسة التي اعتمدت عليها.

أولا: مفهوم التراث:

يعرف التراث في اللغة بشكليه المادي والمعنوي: أنه الورث والإرث والتراث والميراث كقوله تعالي :{وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا}[١] – أي ميراث اليتامي– ، وقالوا: إن الورث والميراث في المال، والإرث في الحسب[٢]، وجاء أيضا بمفهومه المعنوي فقيل: التراث هو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو بدون نسبب، كما في قوله تعالي: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}[٣]، والمقصود هنا ورثة الاعتقاد والإيمان بالكتب السالفة، ومن ثم وراثة الهدي والإيمان بالله عز وجل[٤]، وفي ذلك قول عمرو ابن كلثوم:

وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ ..... وَنُوْرِثُهَا إِذَا مُتْنَا بَنِيْنَا

ومن ثم: فان التراث كلمة عربية تعني في معناها اللغوي الميراث سواء كان ماديا أو معنويا[٥].

---

(١) سورة الفجر: آية ١٩.

(٢) ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، ت: ٧١١هـ/١٣١١م) : لسان العرب،ج٢، (دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ)، ص٢٠٠. مادة (ورث)

(٣) سورة فاطر: آية ٣٢.

(٤) الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، ت:٣١٠هـ/٩٢٢م): جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري، ج٢٠، تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص٤٦٥، ٤٦٨؛ الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي) (ت: ٤٥٠هـ/١٠٥٨م): تفسير الماوردي= النكت والعيون، ج٤، تحقيق، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان)، ص٤٧٢.

(٥) الرازي: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م) : معجم مقاييس اللغة، ج٦، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٩٧٩م)، ص١٠٥. مادة (ورث)

أما في الاصطلاح فقد عرف بأنه: كل ما ورثه الأبناء عن الآباء والأجداد من عقائد ومعتقدات، وثقافات وآداب، وعلوم وفنون، وقيم، وتقاليد، ورؤى تؤثر بصورة أو بأخرى على الأجيال المتعاقبة وتجسد قيمًا ثقافية وحضارية توضح مدى مساهمة الأجيال المختلفة في رقي الحضارة الإنسانية، وهو بذلك لم يختلف عن التعريف اللغوي، بل جاء مطابقًا وموضحًا له في شقيه المادي والمعنوي(١).

وقد حظيت الدولة الإسلامية على مر عصورها بتراث حضاري عظيم؛ أضاء الطريق للعالم أجمع وضمن لها التميز والخلود، حتى وقت ضعفها، وقد تعرض هذا التراث للخطر والسرقة ووربما الدمار، لولا جهود بعض من العلماء الذين استطاعوا الحفاظ عليه قدر المستطاع بل وإحيائه من جديد، ومن هؤلاء العلماء الذين قاموا بهذا الدور: نصير الدين الطوسي.

ثانيا: نصير الدين الطوسي (٥٩٧- ٦٧٢هـ/١٢٠١-١٢٧٣م) والعوامل المؤثرة في تكوينه الفكري:

١- الاسم والكنية.

هو: محمد بن محمد بن الحسن الجهرودي القمي الطوسي – وقد عرف بالطوسي نسبة إلى مدينة طوس(٢) وبالجهرودي(٣) نسبة إلى بلدة (جه رود) المعروفة حاليا بجهرود وهي من اعمال قُم من مكان يقال له وشارة بمدينة

(١) أكرم ضياء العمري: التراث والمعاصرة، (سلسة كتاب الأمة، ١٤٠٥م)، ص٢٧

(٢) الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ج١٥، تحقيق: بشار عوّاد معروف، (دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م)، ص٣٥٣؛ ابن شاكر (محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون الملقب بصلاح الدين، ت: ٧٦٤هـ): فوات الوفيات، ج٢، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر – بيروت، ١٩٧٣)، ص٢٤٦.

(٣) إسماعيل بن محمد بن أمير سليم الباباني البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج٢، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان)، ص٢٤.

طوس، ومن ثم فقد لقب أيضا بالقمي[١]، كني الطوسي بعدة القاب منها أبو جعفر[٢] وأبو عبد الله[٣]، كما لقب بالعدد من الألقاب منها، نصير الدين[٤]

(١) عبد الله نعمة: فلاسفة الشيعة حياتهم وآرائهم، تقديم: محمد جواد مغنية، (دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٨٧م)، ص٥٣٥.

(٢) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٧، (دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢ م)، ص٣٠؛ الباباني: هدية العارفين، ج٢، ص٢٤.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٥، ص٣٥٣؛ اليونيني (قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني، ت: ٧٢٦هـ): ذيل مرآة الزمان، ج٣، بعناية: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م)، ص٧٩؛ الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، ت٧٦٤): الوافي بالوفيات، ج١، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م)، ص١٤٧.

(٤) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٤، تحقيق، على أبو زيد، نبيل أبو عشمة، محمد موعد، محمود سالم محمد، مازن عبد القادر المبارك، (دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨م)، ص١٨؛ الوافي بالوفيات، ج١، ص١٤٧؛ ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمرو القرشي الدمشقي، ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية، ج١٣، تحقيق: على شيري، (دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م)، ص٢٦٧؛ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي، ت: ٨٠٨هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج٨، تحقيق: خليل شحادة، (دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م)، ص٥٠٢؛ ابن تغري البردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، ت٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، تعليق: محمد حسين شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م)، ص٣٤٥؛ ابن العماد (شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، ت١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦م)، ص٥٩١؛ عباس سليمان: نصير الدين الطوسي كاتب قلعة ألموت، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م)، ص١٣.

نصير الملة [١] والخواجا [٢] المولي[٣] مولانا السعيد[٤]، والفيلسوف[٥] الفيلسوف

(١) رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج١، تحقيق: فؤاد الصياد، محمد صادق نشأت، (دار إحياء الكتب، د، ت)، ص٢٠٣؛ الباباني: هدية العارفين، ج٢، ص٢٥.

(٢) خواجا، خواجة، أخوجه، خوجة: (الخواجا) لفظ فارسيّ من ألقاب أكابر التّجّار الأعاجم من الفرس ونحوهم، ومعناه السيّد الكبير، والخواجكيّ بزيادة كاف نسبة إليه للمبالغة، وكأنّ الكاف في لغتهم تدخل مع ياء النسب. وهو ما كان يطلق على الصدور والوزراء. وقد وصف بها نظام الملك الطوسي، كما وصف بها نصير الدين الطوسي. وذكر القلقشندي أنها من ألقاب التجار في مصر. للمزيد راجع: الإربلي: (المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي، المعروف بابن المستوفي، ت: ٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، تاريخ إربل، ج١، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، (وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م)، ص٤٦٣؛ ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٢، ص٢٥٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٤٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق، على شيري، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م، ص٢٢٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص٦٥٠؛ القلقشندي (أحمد بن على بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهر، ت: ٨٢١هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٢؛ المقريزي (أحمد بن على بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، ت: ٨٤٥هـ): السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت، ١٩٩٧م)، ص٥١٠؛ العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن حجر، ت: ٨٥٢هـ): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج٤، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، (مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد، الهند، ط٢، ١٩٧٢م)، ص١٨٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٩، ٣١٣؛ عبد الأمير الأعسم: الفيلسوف نصير الدين الطوسي "مؤسس المنهج الفلسفي في علم الكلام الإسلامي"، (دار الأندلس للطباعة والنشر، د.ت)، ص٢٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٣٤، ٣١٣؛ الباباني: هدية العارفين، ج٢، ص٢٥.

(٤) رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج١، ص٢٠٣

(٥) ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٤٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٤٦؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٣٠

الشيعي[١]، فقيه الشيعة[٢]، زين المحققين، افضل المتأخرين، أستاذ الحكماء والمتكلمين[٣]، سلطان الحكماء[٤]، أستاذ البشر والعقل الحادي عشر[٥] سيد العالم العالم [٦]، وغير ذلك من الألقاب، عرفته أوروبا بنصير الدين الطوسي[٧]، غير غير أنه اشتهر "**بالخواجا نصير الدين الطوسي.**

واختلف المؤرخون في اصل مولد الطوسي فالبعض[٨] يرجح أنه ولد في مدينة جهرود وتربى في مدينة طوس القريبة منها –وهما من مدن بلاد فارس– حيث انتقلت أسرته إليها، بينما يرجح البعض الآخر أن الطوسي ولد بمدينة طوس (٥٩٧هـ/١٢٠١م)، وان اصله يعود من مدينة جهرود[٩]، ونتفق مع هذا الرأي حيث أن لقب الطوسي هو اللقب الذي لصق به منذ البداية حتى النهاية.

٢– التحديات الفكرية والعقائدية ودورها في النشأة والتكوين الفكري للطوسي.

نشأ الطوسي وتربي وسط اسرة عرفت بالعلم، كان والده محمد بن الحسن

(١) البابانى: هدية العارفين، ج٢، ص١٣١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١١٩.

(٣) عباس سليمان: نصير الدين الطوسي، ص١٥؛ الاعسم: الفيلسوف نصير الدين،

(٤) رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج١، ص٢٠٣.

(٥) رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ج ١، ص٢٠٣؛ نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣١؛ ص٥٣١؛ عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك في العراق، (مطبوعات المجمع العلمي العراقي، العراق، ١٩٥٨م)، ص٣٢.

(٦) رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ص٢٤١؛ الاعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٢٥.

(٧) عباس سليمان: نصير الدين الطوسي، ص١٥.

(٨) الاعسم: الفيلسوف نصير الدين الطوسي، ص٢٦.

(٩) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٥، ص٣٥٣؛ نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٤٣١؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٧٠؛ البابانى: هدية العارفين، ج٢، ص٢٤.

الشيعي الاثني عشري؛ أحد محدثي المذهب الشيعي الاثني عشري[١] وأحد علماء علماء الكلام في عصره[٢]، أما خاله فهو الفيلسوف الحكيم فاضل بابا افضل الكاشي، وعلى هذا فقد نشأ الطوسي في بيئة شيعية اثني عشرية، ووسط أئمتهم[٣]، بالإضافة إلى الأجواء الشيعية الفلسفية بين اسرته والذي كان لها الدور الدور الكبير في تكوين شخصيته الفكرية[٤].

---

(١) الإمامية الاثنا عشرية: هي التي قامت بإمامة موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق ومن بعده موسى بن الإمام على الرضا ثم أبناءه من بعده حتى يصلوا إلى الإمام محمد المنتظر الذي يمثل عندهم الإمام الثاني عشر الذي دخل سردابًا ثم اختفى ٢٦٠هـ/ م، وهم ينتظرون عودته. لذا فقد أطلق عليهم أيضًا الواقفة ومذهبهم هو مذهب أهل إيران اليوم. للمزيد راجع : البغدادي (عبد القادر بن طاهر بن حمد البغدادي، ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م): الفرق بين الفِرَق، تحقيق: حمد محي الدين عبد الحميد، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥)، ص٢١؛ النوبختي (الحسن بن موسي وسعد بن عبد الله القمي) من علماء رأس الثلاثمئة الهجرية، فرق الشيعة، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٢، صـ٥٧؛ ص١٠٥.

(٢) تتلمذ على يد علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية امثال: فضل الله الراوندي ت٥٧٣هـ/١١٧٧م، والشيخ الطوسي٤٦٠هـ/١٠٦٧م. للمزيد راجع: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٥، ص٣٥٣؛ الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري، ترجمه: محمد صادق فضل الله، (دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٨م)، ص١٩، نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣١؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٧٠.

(٣) على الرضا ومشهده بطوس، وعلي محمد النقي ومشهده بقم للمزيد راجع: الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد، ت: ٥٤٨هـ): الملل والنحل، (مؤسسة الحلبي، د.ت)، ص١٦٩.

(٤) الباباني: هدية العارفين، ج٢، ص٢٥؛ يحيى حسن على مراد: آداب العالم والمتعلم عند المفكرين المسلمين من منتصف القرن الثاني الهجري وحتي نهاية القرن السابع، (دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان)، ص٢٤٣؛ الأعسم: الفيلسوف نصير الدين الطوسي، ص ٢٧.

غير أن هناك عديد من المؤثرات الأخرى التي كان لها دور بارز في تكوين شخصية، وحياته العلمية اتجاهاته الدينية وكذلك مواقفه السياسية، والتي ظهرت بشكل جلي في كل مرحلة من مراحل حياته، بشكل يثير الجدل ويستوجب التوقف والتساءل لازالة الغموض والخلاف القائم ولم يحسم في جزئيات كثيرة منه بعد.

أ- **المرحلة الأولى من حياة الطوسي (٥٩٧- ٦١٢هـ/١٢٠١- ١٢١٦م)**

كانت **المرحلة الأولى** من حياة الطوسي تتسم بالهدوء والأمان في مدينة طوس، موطنه ومقر نشأته، ووسط أسرته الصغيرة، وكان يتلقي العلم في مراحله الدراسية الأولى تحت رعايته أبيه محمد بن الحسن، فدرس علوم اللغة من نحو وصرف وأدب، كما تعلم منه علوم القرآن الكريم والحديث والأخبار، كذا درس علوم المنطق والحكمة على خاله الحكيم فاضل؛ هكذا ورث عن أسرته العلوم والأسس الأولية التي كونت شخصيته الفكرية الأولى، وجمع بين العلوم الشرعية والعلوم العقلية مما ساهم بقدر كبير في حياته الشخصية، وعندما أتم الطوسي الخامسة عشرة من انتقل إلى نيسابور لتلقي العلم على يد كبار العلماء هناك؛ ولا سيما أن نيسابور كانت في ذلك الوقت مجمع العلماء، وكانت بعيدة عن الخطر المغولي الذي اجتاح الكثير من بلدان المشرق الإسلامي، فترك الطوسي بلده وأسرته وأخوته متجها إلى نيسابور لتلقي العلوم المختلفة، ومن ثم تهيأت له الدراسة المنظمة هناك(١).

ومما سبق يتضح أن الاهتمام بالعلم وتحصيله كانت سمة من سمات هذا العصر ورغم المتغيرات السياسية التي عمت العالم الإسلامي أن ذاك إلا أن الرحلات في طلب العلم لم تتوقف.

(١) الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري، ص٢٠؛ الباباني: هدية العارفين، ج٢، ص٢٥؛ عباس سليمان: نصير الدين الطوسي، ص١٧، ١٩؛ الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٢٧.

ب: **المرحلة الثانية(٦١٢- ٦١٩هـ/١٢١٦- ١٢٢٢م)**

وبدأت **المرحلة الثانية** من حياة الطوسي (٦١٢هـ/١٢١٦م) وتكوينه الفكري واتجاهاته العقائدية، حيث درس على يد كبار العلماء أمثال: فريد الدين محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالشيخ العطار (ت٦٢٧هـ/١٢٣٠م)، ومعين الدين سالم بن بدران بن على المعتزلي الشيعي المصري، وفريد الدين الداماد النيسابوري، كمال الدين بن يونس الموصلي[١]، سراج الدين السرخسي، وأبي السعدات الأصفهاني بن عبد القادر الأصفهاني من علماء الشيعة الإمامية، كما درس على يد الفقيه كمال الدين البحراني[٢].

وقد تركزت دراسته في هذه المرحلة على العلوم الدينية والعقلية من فقه، ورياضيات، ومنطق، وفلسفة، كذلك علوم الفلك والنجوم، فكانت أخصب مراحل حياته العلمية، وبرز فيها الطوسي كطالب علم متميز[٣]، وفي تلك الفترة التي أخذ الطوسي فيها ينهل العلم من كبار العلماء، بدأ الغزو المغولي الغاشم على مدن خوارزم وسمرقند وبخاري، ومن ثم فتح الطريق لهم لغزو نيسابور[٤]،

---

(١) ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٥٠؛ اليونيني: زيل مرآة الزمان، ج٣، ص٧٩؛الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٤٦، ٢٥٢؛ الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٢٨؛ يحيى حسن على مراد: آداب العالم والمتعلم، ص٢٤٤.

(٢) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣٦.

(٣) الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٢٨؛ يحيى حسن على مراد: آداب العالم والمتعلم، ص٢٤٤.

(٤) نيسابور: بفتح أوله، والعامة يسمونه نشاوور: وهي مدينة من مدن خراسان، وهي كثيرة الكور، فمن كور : الطبسين، وقوهستان، ونسا، وأبيورد، وأبرشهر، وجام، وباخرز، وطوس، ومدينة طوس العظمى يقال لها: نوقان، وزوزن، وأسفرايين على جادة طريق جرجان.افتتح البلد عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان سنة ثلاثين، وأهلها أخلاط من العرب والعجم ذات فضائل حسنة وعمارة، كثيرة الخيرات وذات فضائل جسيمة =

وبالفعل دخلت الجحافل المغولية نيسابور، وكان ذلك في عام (٦١٩هـ/١٢٢٢م)، وهو نفس العام الذي أجازه فيه أستاذه العالم الجليل معين الدين المصري، وكان عمر الطوسي آنذاك الثانية والعشرون[١].

وخلاصة القول: أن المكون المعرفي صار شبه مكتمل عند الطوسي، حيث تنوع مصادره في طلب العلم، وازدياد معارفه، وهذا يعكس حال الحياة العلمية إبان الاجتياح المغولي، فبرغم العنف والتصارع السياسي آنذاك، إلا أن الفكر والعلم والقافة كانت تسير قدما إلى الأمام ولا ترتد إلى الخلف.

ومن حسن حظ الطوسي أن كتب الله له النجاة ضمن ٤٠٠ شخص ممن نجوا من تلك المجزرة التي راح ضحيتها أكثر من مليون وسبعمائة وسبعة وأربعين ألفا من البشر[٢]، فر الطوسي بنفسه هاربا إلى مدينة طوس مرة أخرى، غير أن مشهد المذابح المغولية، الذي شاهده في نيسابور قد أثر عليه بشكل كبير، فظل خائفا في عزلة قاسية منفردا بنفسه وكتبه في مدينة طوس، إلا أن ذلك لم يثنيه عن تحصيل العلم، وظل في تلك العزلة كما يبدو زهاء ست سنوات (٦١٩هـ-٦٢٥هـ/١٢٢٢-١٢٢٨م)، ظل فيها يجاهد خوفه ويكافح قلقه بالقراءة والعلم، في سبيل تحقيق هدفه المنشود؛ فبالرغم من انعزال الطوسي وعدم تلقيه

=

وهي معدن الفضلاء ومنبع العلماء. للمزيد راجع: اليعقوبي (أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، ت: بعد ٢٩٢هـ): البلدان، ج١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ)، ص٩٤-٩٥؛ ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي، ت٦٢٦هـ): معجم البلدان، ج٥، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م)، ص٣٣١؛ القزويني (زكريا بن محمد بن محمود، ت: ٦٨٢هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، ج١، (دار صادر، بيروت، د.ت)، ص٤٧٣.

(١) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣٦؛ الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص ٣٠.

(٢) الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري، ص٢١؛ نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣٦.

العلم المنظم على أي من العلماء في طوس؛ إلا أن تلك الفترة كانت من الفترات المثمرة في حياته العلمية، حيث عكف على التعلم الذاتي فقرأ في مختلف العلوم الفلسفية والطبيعية والسياسية، وتعمق في قراءة مؤلفات ابن سينا، وفخر الدين الرازي، والشهرستاني، والفارابي(١).

وقد تحدى الطوسي نفسه وأخذ في شرح هذه المؤلفات؛ وكان لذلك مردود كبير في التكوين الفكري والبناء الثقافي له، وحمل بين طياته سمة التنوع المعرفي، هذا الامر الذي كان نواة لتحقيق هدفه في الوصول والانتشار، وبالفعل زاعت شهرته وأفكاره بين الناس مما جعله موضعا لاهتمام الشيعة الإسماعيلية(٢)، أحد أشهر قوتين في العالم الإسلامي آنذاك(٣). حتى سمع بها

(١) الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٢٨؛ يحيى حسن على مراد: آداب العالم والمتعلم، ص٢٤٤.

(٢) الشيعة الاسماعيلية: هم الشيعة الذين ساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق ومنه إلى ابنه إسماعيل وهو الابن الأكبر المنصوص عليه طبقا لمبادئهم، ولما توفي إسماعيل في حياة أبيه، افترقوا إلى فرقتين: فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه، وفرقة قالت إن الإمام بعد جعفر هو سبطه محمد بن اسماعيل بن جعفر – وهذا ولا شك دليل على عدم علم الإمام جعفر بالغيب كما يدعون– اعتبر الشيعة أن هذه دلالة على أنه نصب ابنه يكون بعده.؛ حكمت الفرقة الأولى بلاد المغرب ومصر باسم الدولة العبيدية ثم الفاطمية؛ وكان عدد حكامها (١٤)، وامتد حكمهم ٢٦٠ سنة، أما الثانية فقادها الحسن الصباح ثم أتباعه في القلاع الإسماعيلية، وعددهم (٨) وامتد حكمهم ١٧٢ سنة. للمزيد راجع: البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٦٢–٦٣؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٩١–١٩٢؛ خواندمير: دستور الوزراء، تعليق: فؤاد عبد المعطي الصياد، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م)، ص٣٠١–٣٠٣؛ عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، –١–حكومة المغول، "٦٥٦–٧٣٨هـ/١٢٥٨–١٣٣٨م"، (مطبعة بغداد، العراق، ١٩٣٥م)، ص١٥٢–١٥٣.

(٣) أيمن فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، ج١، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م). المغول، ص١٢؛ الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٢٩؛ يحي حسن على مراد: آداب العالم والمتعلم، ص٢٤٤؛

ناصر الدين عبد الرحيم بن منصور الأشتر الملقب بـ"المحتشم" حاكم قهستان[١] أكبر وزراء علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن داعي دعاة الإسماعيلية[٢]، فدعاه إلى الإقامة عنده[٣]، وقد لقيت هذه الدعوة هوى في نفس الطوسي، كما يقول البعض[٤]، حيث رأي الطوسي أن في قلاع الإسماعيليين يكون الامن والامان بعيدا عن هجمات المغول، ويكون الطريق الآخر لاعتكافه على العلم الذي كان هدفا رئيسيا من أهدافه، ولا سيما أن قلاع الإسماعيليين في ذلك الوقت كانت مكانا للعلم والفلسفة؛ فكان الاسماعيليون يهتمون بالعلم والعلماء، ومن ثم كانت فرصة عظيمة للطوسي لاستكمال مداركة العلمية والفكرية ولحمايته من الخطر المغولي القادم لا محالة[٥].

وكان اتصاله بالإسماعيليين حسب هذا الرأي عن طواعية واختيار لا إجبار أو إذلال؛ كما ذكر بعض المؤرخين الشيعة بأن بعض الفدائيين الشيعة قد اختطفوه رغما عنه، وذهبوا به إلى قلاع الإسماعيليين الشيعة، وظل محبوسًا

(١) قوة استان "قهستان" من كور نيسابور. وهي قرى كثيرة عامرة بها المياه الجارية والأشجار المورقة وأكثرها شجر التين، وبها زوايا كثيرة فيها الصالحون المنقطعون إلى الله تعالى للمزيد راجع: ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، ت: ٧٧٩هـ): رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج١، (أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ)، ص٢٩٦.

(٢) علاء الدين بن جلال الدين الاسماعيلي صاحب قلعة الموت وحفيد الحسن الصباح رأس الاسماعيلية وصاحب الدعوة النزارية الفاطمية، في قلعة الموت. للمزيد راجع : الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣٢، (دار الحديث– القاهرة، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م)، ص١٥٨.

(٣) الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري، ص٢٤؛ نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٢٨، ٥٣٧؛ يحيى حسن على مراد: آداب العالم والمتعلم، ص٢٤٤.

(٤) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣٦.

(٥) الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٢٥.

هناك حتى أفرج عنه هولاكو[١]، ونحن لا نميل بأي حال من الأحوال إلى ما ذكره الشيعة بأنه قد خطف الطوسي؛ ولا سيما في ظل العلاقة القوية التي كانت بينه وبين حاكم قوهستان، وكذلك رغبته الملحة لطلب العلم، وإن كان في قلاع الإسماعيلية مخالفين له في المذهب.

وعلي أية حال كان انتقال الطوسي من طوس إلى قوهستان واتصاله بالشيعة الإسماعيلية **مرحلة جديدة** من مراحل حياته العلمية والفكرية التي تفرغ فيها للعلم.

ج- المرحلة الثالثة (الطوسي في قلاع الإسماعيلية) (٦٢٦-٦٥٣هـ/١٢٢٩-١٢٥٥م)

وبالفعل وفي أواخر عام (٦٢٥هـ/١٢٢٨م)، شد الطوسي الرحال إلى قوهستان ونزل ضيفا عزيزا على الوزير الإسماعيلي وقد كان الطوسي مخلصا لناصر الدين مما جعله يؤلف له كتاب **أخلاق ناصري باللغة الفارسية**[٢]، كما وضع **الرسالة المعينية** في علم الهيئة لولده معين الدين بن ناصر الدين[٣] ومن ثم اطمئن الطوسي على نفسه وعاش حياة جديدة كان اتصاله الاوحد فيها بالشيعة الإسماعيلية، مارس فيها التأليف في شتي العلوم، فألف في الفلسفة والرياضيات والعلوم العقلية حتى امتدت شهرته بين الإسماعيليين وذاع صيته في

(١) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣٨.

(٢) وهو ترجمة لكتاب مسكويه: تهذيب الأخلاق، نقله إلى الفارسيّة نصير الدين الطوسي وكان معجبا بمسكويه وكتابه إعجابا كبيرا يعرب عنه بأبياته المعروفة التي نظمها في زمن سابق وقبل أن يقوم بترجمته، وأوّلها: "بنفسي كتاب حاز كلّ فضيلة"، وهو في فنون الحكمة ومن ثم لا يتعلق بملة او نحلة للمزيد راجع: الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري، ص٣٠.

(٣) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣٧؛ عباس سليمان: نصير الدين الطوسي، ص١١٣.

الآفاق[١].

هذا الأمر الذي دعي الداعي الاسماعيلي الاكبر والزعيم السياسي الاول علاء الدين محمد بن جلال الدين إلى دعوته للحضور إلى لمقابلته في بلاطه في قلعة ميمون دز، ولبي الطوسي الدعوة، وهناك توطدت علاقته بركن الدين بن علاء الدين الإسماعيلي الذي اصطحبه معه إلى قلعة ألموت – أكبر القلاع الإسماعيلية – ليبدأ حياته الجديدة في خدمة ونصرة المذهب الاسماعيلي، وقد استمرت ثمان وعشرون عاما من عمر الطوسي (٦٢٦-٦٥٣هـ/١٢٢٩-١٢٥٥م) الف فيها للإسماعيليين العديد من المؤلفات التي كتبت بالعربية والفارسية وبالتركية ايضا، التي خلدته وجعلته عالما بين العلماء[٢] فقد الف خلالها الكثير من الكتب في شتي المجالات فكانت من مؤلفاته خلال تلك الفنرة: روضة القلوب، رسالة في التوالي والتبري، تحرير مجسطي، تحرير اقليدس، تحرير اكر مانالاوس، روضة التسليم، مطلوب المؤمنين، شرح الاشارات، كذلك كتب في الفلك والتنجيم[٣].

هذا الامر الذي جعل البعض يعتقد انه قد تحول من الاثني عشرية إلى الإسماعيلية، ووصفوه بأنه كاتب الإسماعيليين[٤] ومما لاشك فيه أن الطوسي قد استفاد من وجوده في قلاع الإسماعيلية، وعكف على تلقي العلم، ونعم بالأمن والامان، ومن ثم فهو بحق مدين للاسماعيلة فيما قدم من علم، وفي المقابل خدم الاسماعيلين باخلاص وكان كاتبهم ووزيرهم ونستبعد انه قد تحول إلى

(١) الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٣١.

(٢) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣٨؛ الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٣٤.

(٣) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣٨؛ عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٣٣؛ عباس سليمان: نصير الدين الطوسي، ص١١٧.

(٤) عباس سليمان: نصير الدين الطوسي، ص١١٩.

الإسماعيلية، هذا الأمر الذي تدلنا عليه مؤلفاته في تلك الفترة وهي ليست بالقليلة، والذي تنوعت ما بين العلوم الفلسفية والفلكية[١].

كذلك وصفه البعض بأنه قد مارس سياسة التقية التي يتبعها الشيعة في اخفاء كونه اثني عشريا؛ لينجو بنفسه من خطر المغول ففضل أن يكون إسماعيليا ظاهريا على أن ينهي حياته خوفا ورعبا من المغول[٢]. ونحن لا نرجح هذا الأمر أيضا حيث أن الإسماعيليين هم من سعوا إليه للاستفادة من علمه، ولا يمكن أن يكون أمر اعتناقه المذهب الاثني عشري قد خفي عليهم، أو أن الطوسي كان اذكي من الجميع فظل كل هذه الفترة في تقيته. غير أن كل من الطوسي والإسماعيليين كان يعرف ماذا يريد من الاخر.

وعلى أية حال يمكن القول: بأن القلاع الإسماعيلية قد شاركت بشكل كبير في التكوين المعرفي للطوسي، حيث حصل فيها على الكثير من العلوم، واستطاع أن يحقق زبدة الفكر، مما ساهم في بناءه المعرفي واستكمال معارفة العلمية والثقافية.

وظل الطوسي آمنا مطمئنا في أحضان الإسماعيليين حتى سمع باقتراب المغول من القلاع الاسماعيلية نفسها، فانتابه الخوف والزعر وعاد القلق ليراوده، وعلى الفور خرج من العباءة الاسماعيلية اخذ يبحث عن طوق نجاة اخر فلم يجد امامه سوي الخلافة العباسية السنية في بغداد (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م) وهي العدو التقليدي والألد للإسماعيليين والشيعة على السواء[٣] وهذا يدل على أن المذهب الديني لم يكن الهدف الاول للطوسي بقدر ما كان الخوف من الدمار المحتم والحاضر غير الامن الذي كان يطارده من حين لاخر في ظل التشتت

(١) ملحق رقم. (٥)

(٢) الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٣٤.

(٣) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣٩؛ الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٣٤.

الإسلامي بين الضعف والتخاذل والفرقة.

أرسل الطوسي للخليفة العباسي المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢١٣-١٢٥٨م) سرا قصيدة يمدحه فيها ويطلب منه قبوله **لاجئا سياسيا** في بغداد، كما أرسل إلى ابن العلقمي[١] وزير الخليفة العباسي برسالة أخرى يطلب فيها التوسط له عند الخليفة في تأييد طلبه في الإقامة في بغداد، غير أن الخليفة المعتصم لم يهتم برسالة نصير الدين الطوسي كما سكت ابن العلقمي عن توسل نصير الدين الطوسي[٢].

وهنا تضاربت الأقوال بشأن الاتصال بالخليفة، فيرى البعض أن ابن العلقمي قد سكت عن معاضدة نصير الدين الطوسي وطلبه لدى الخليفة[٣] ويرى آخرون أن ابن العلقمي خاف من تأثير الطوسي على الخليفة وأن يحل محله عند الخليفة؛ وذلك لفضل نصير الدين الطوسي وعلمه، ففشا سرّه، فأرسل سراً إلى زعيم الإسماعيليين "ناصر الدين القهستاني" يخبره بخبره ويحرضه على الاحتفاظ به، موضحاً أن نصير الدين الطوسي قد ابتدأ بإرسال الرسالات والمكاتبات عند الخليفة وانه أنشأ قصيدة في مدحه، وذكر له: "انه بفعله هذا قد

(١) ابن العلقمي: ابن العلقمي محمد بن محمد بن على البغدادي الرافضي، كان فارسيا شيعيا، وزر للمستعصم بالله العباسي في ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م، كانت وزارته له أربع عشرة سنة، فأفشى الرفض، فعارضه السنة، وكان وزيرا كافيا خبيرا بتدبير الملك وكان المعتصم يثق به ويطمئن إليه، ولم يزل ناصحا لأستاذه حتى وقع بينه وبين الدوادار لإنه كان يتغالى في السنة وعضده ابن الخليفة فحصل عنده من الضغن ما أوجب له أنه سعى في دمار الإسلام وخراب بغداد على يد المغول، اصبح أول وزيرا للمغول في بغداد غير أنهم عاملوه معاملة سيئة وأهانوه فتوفي بعد دخولهم بغداد بثلاث شهور.. للمزيد راجع: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٥٥؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٤٠.

(٢) الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٣٦.

(٣) الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٣٦.

أراد الخروج من عندك وهذا لا يوافق الرأي فلا تغفل عن هذا"[١].

هذا الأمر الذي يدل على أن العلقمي كان عينا للإسماعيليين في بلاط المستعصم العباسي، إضافة إلى ما اتهم به باعتباره عينا للمغول[٢]. وانه لم يكن من المروءة ليفتح ابواب بغداد لفيلسوف عالم مثل الطوسي، وكذلك شيعي له وزنه وقدره عند الشيعة، كذلك فان المستعصم نفسه لم يكن مهتما بالفلاسفة.

وعلى أية حال فقد جاءت رسالة بن العلقمي بثمارها، وكانت النتيجة هي غضب الاسماعيلين واتهامهم للطوسي بنكران الجميل؛ ومن ثم عوقب بالاقامة الجبرية وحددت اقامته في قلعة الموت اخر القلاع الاسماعيلية الباقية آنذاك ووشيكة السقوط[٣] ومن ثم ازدادت رغبته في الخروج من القلعة ولا سيما في ظل المعاملة السيئة التي لقيها من الاسماعيليين، وظل نصير الدين الطوسي سجينا داخل قلعة الموت محروما حتى من حقه في التأليف– هدفه الاساسي–، يعامل معاملة سيئة ويعاني من الظلم والجور[٤].

وقد أشار الطوسي إلى ذلك الحال الصعب بنفسه وذلك في اخر شرحه للاشارات الذي الفه في قلاع الاسماعيلين عام (٦٤٠هـ/١٢٤٣م) حيث قال: "رقمت أكثرها في حال صعب لا يمكن أصعب منها حال ورسمت أغلبها في مدة كدورة بال، بل في أزمنة يكون كل جزء منها ظرفاً لغصة وعذاب أليم وندامة وحسرة عظيم، وأمكنة توقد كل أن فيها زبانية نار جحيم ويصب من فوقها حميم،

(١) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣٩.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٥٥؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٥٠١؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج٢، تحقيق: احمد يوسف بخاتي، (مطبعة دار الكتب المصري، القاهرة، ١٩٥٦م)، ص١٤٨؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٤٠.

(٣) الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٣٧.

(٤) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣٤؛ رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج١، ص٢٤٩.

ما مضى وقت ليس عيني فيه مقطراً ولا بالي مكدراً، ولم يجئ حين لم يزد ألمي ولم يضاعف همي وغمي" ..... اللهم نجني من تزاحم أفواج البلاء وتراكم أمواج العناء، بحق رسول المجتبى ووصيه المرتضى، وفرج عني ما أنا فيه بلا إله إلا أنت وأنت أرحم الراحمين(١).

وظل الطوسي هكذا ولم يتنفس نصير الدين الطوسي الصعداء إلا سنة (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) عندما تولي شمس الشموس بن علاء الدين محمد زعامة الاسماعيلين في قلعة الموت، فتساهل معه في محبسه وسمح له بالتأليف مرة أخرى، غير أن شبح المغول ظل يطارده وظلت رغبته في الخروج من القلعة تلح عليه ولم يجد له من ملجأ إلا أن يواجه الموت بموت ولا سيما بعد غلق ابواب بغداد امامه وتردي حالة العالم الإسلامي آنذاك، وسقوط القلاع الاسماعيلية واحدة تلو الاخري، ففضل لقاء المغول عن بقائه في قلعة الموت، وحاول هو من معه من العلماء والاطباء داخل القلعة اقناع ركن الدين خورشاه اخر مقدمي الاسماعيلية بالتسليم لهولاكو وقد انضم اليهم عدد من المسلمين داخل القلعة، ولا سيما في ظل الانتصارات المتلاحقة للمغول، هذا الأمر الذي سيؤدي إلى تخفيف العاقبة إلى حد ما(٢).

وقد حاول خورشاه أن يتجنب هذا الخطر المغولي بالوسائل الدبلوماسية، غير أن هولاكو أرسل إليه برسالة يطلب منه التخلي عن المقاومة، والقدوم عليه في معسكره ويهدده بالمضي في القتال اذا رفض هذا العرض، فادرك خورشاه انه لا سبيل إلى المقاومة وأعلن طاعته وإذعانه(٣).

---

(١) ابن سينا (أبو على شرف الملك الحسين بن عبد الله بن سينا، ت ٤٢٨هـ/١٠٣٧م): الإشارات والتنبيهات، شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق: سليمان دنيا، القسم الرابع في التصوف، (مؤسسة النعمان للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م)، ص١٦٤؛ نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤٠.

(٢) رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج١، ص٢٤٩.

(٣) السيد الباز العريني: المغول، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م)، ص٢١١؛ عباس سليمان: نصير الدين الطوسي، ص١٠٩.

وعندما استطاع المغول دخول قلعة ألموت الإسماعيلية، وذلك بعد أن استشار ركن الدين خورشاه كبار العلماء في القلعة على رأسهم نصير الدين الطوسي فنصحوه بالتسليم للمغول حقنا لدماء المسلمين وتجنب الدمار والخراب ولا سيما أن ركن الدين خورشاه قد ارسل لهولاكو فبعث أخاه في ثلاثمائة فقتلهم هولاكو وتهدد ركن الدين خورشاه ولم يستطع ركن الدين خورشاه مقاومة المغول فاستسلم لهم[١] وقبل الأرض أمام زعيمهم هولاكو؛ وبذلك تمكن المغول من الاستيلاء على قلعة الموت، ولم يكتف هولاكو بالاستيلاء على قلاع الإسماعيلية في تلك المناطق بل طلب من ركن الدين خورشاه تسليم جميع قلاع الإسماعيلية في بلاد الشام، فاستجاب له وراسل مندوبين من قبله إلى بلاد الشام ومعهم رسل هولاكو لدعوة الناس هناك إلى التسليم عندما تصل إليهم الرايات المغولية هكذا استطاع المغول السيطرة على كل القلاع الإسماعيلية الواحدة تلو الأخرى والتي بلغ عددها نحو المائة، اتخذها هؤلاء الإسماعيليون أوكاراً لهم سنين طويلة[٢].

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٨، ص٢٥؛ رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج١، ص٢٥٠.

(١) هذه الفرقة الثانية من فرق الإسماعيلية، دامت دولتهم من سنة ٤٧٣هـ (وعلى قول صاحب جامع التواريخ من سنة ٤٧٧هـ، واستمرت حتي سنة ٦٥٤هـ ولي أمرها ثمانية أمراء، أولهم الحسن بن على بن محمد الصباح، وآخرهم ركن الدين خورشاه؛ وكانت قاسية في حكمها وانتهكت حرمات وقتلت علماء وأمراء، وأجرت مظالم سجلها التاريخ عليها...

وهذه قائمة بأسماء حكامها: الحسن بن على بن محمد الصباح (٤٧٣هـ/١٠٨١م: ٥١٨هـ/١١٢٥م).

- كيابزرك أميد (٥١٨هـ/١١٢٥م: ٥٣٣ هـ/١١٣٩م)
- كيا محمد بن كيابزرك أميد (٥٣٣هـ/١١٣٩م: ٥٥٧ هـ/١١٦٢م)
- الحسن بن كيا محمد (٥٥٧هـ/١١٦٢م: ٥٦١ هـ/١١٦٦م)
- خواند محمد بن الحسن (٥٦١هـ/١١٦٦م: ٦٠٧ هـ/١٢١١م)

=

وفي العام نفسه (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) توفي ركن الدين خورشاه، وانتهت الدعوة الاسماعيلية في صورتها السياسية وبوصفها دولة عقدية تستند إلى قوة وبطش حكام الجبل الذين اطلق عليهم الحشاشين[١]. وكان لنهاية الاسماعيلة فرح شديد عم العالم الإسلامي على الرغم مما يعانيه من ويلات المغول غير انهم مابرحوا التخلص من الإسماعيليين وآذاهم حتى أصبحوا وسط دمار المغول ووحشيتهم.

أما نصير الدين الطوسي فقد عفا عنه هولاكو هو من معه من الأطباء– أبناء رئيس الدولة وموفق الدولة–، من هجمات المغول، وكتبت الطوسي للمرة الثانية النجاة من سيوف المغول ووحشيتهم، ولم يكن هذا فحسب، بل اكرمهم هولاكو واصطحبهم هم وأقاربهم وأبناءهم وخدمهم، وكان هولاكو حريصا جدا على اصطحاب وإكرام نصير الدين الطوسي ولا سيما انه كان على علم ببراعته علوم الرصد وكان هولاكو مقدرا لهذا العلم مغرما به[٢]، بالإضافة إلى وصية منكوقاخان– اخو هولاكوخان– لأخيه هولاكو عندما كان يودعه في حربه ضد الإسماعيليين؛ بضرورة اصطحاب نصير الدين الطوسي معه من القلاع الإسماعيلية للاستفادة من علومه التي اشتهر بها ولا سيما علم الرصد، حيث

=

- خواند جلال الدين حسن ابن خواند محمد (٦٠٧هـ/١٢١١م: ٦١٨هـ/١٢٢٢م)
– خواند علاء الدين محمد ابن خواند جلال الدين حسن (٦١٨هـ/١٢٢٢م: ٦٥٣هـ/١٢٥٦م)
–خواند ركن الدين خورشاه بن علاء الدين محمد (٦٥٣هـ/١٢٥٦م: ٦٥٤هـ/١٢٥٧م), هذا الأخير ووالده قتلهما المغول وقضوا على إدارتهم للمزيد راجع... عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج١، ص١٦٤.

(١) عباس سليمان: نصير الدين الطوسي، ص١٠٩.

(٢) الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري، ص٣٥؛ رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج١، ص٢٥٠.

كان منكوقاخان مثله مثل باقي المغول شغوفا بالرصد والنجوم[١]. وكان المغول يحرصون على سلامة الأطباء لمداواة مرضاهم وجنودهم أيضا ومن ثم نعم علم الطب وكذا الرصد مكانة عالية عندهم اكثر من أي علم آخر[٢].

هكذا اظهر الطوسي ولائه للمغول، وكانت شهرته وعلمه سببا من أسباب نجاته من القتل على أيدي المغول للمرة الثانية، بعد وجوده في قلاع الاسماعيلية.

لم ينجُ نصير الدين الطوسي وحده بل نجت معه مكتبة عظيمة كانت في قلاع الاسماعيلين، زخرت بمؤلفات عديدة عن الفلسفة والتنجيم، ومنها مؤلفات الطوسي نفسه، حيث عهد هولاكو إلى أمينه عطا ملك الجويني[٣] – مؤلف تاريخ جهانكشاي–(أي فاتح العالم) بان يفحص ما بها من الكتب، ويبقي ما يصلح منها ويحرق كل ما يتعلق بعقائد الاسماعيلية، فاستطاع بذلك انقاذ مجموعة قيمة من المصاحف والكتب وآلات رصد النجوم، وكان من بين الكتب التي عثر عليها

(٢) رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ص.٣٠٣

(٢) الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري، ص٣٥.

(٣) هو علاء الدين ابو المظفرعطا ملك بن بهاء الدين محمد ابن بهاء الدين محمد ولد في ٦٢٣هـ/١٢٦٦م اشتغل بأعمال التحرير والديوان، وكان من الكتبة الخصوصيين للأمير أرغون، كان بصحبة هولاكو أثناء حملته على الإسماعيلية، ثم أثناء حملته على بغداد، التي تولي حكومتها بعد سنة واحدة من سقوطها، واستمر قائما على بغداد حتي ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، وكانت وفاته في نفس العام اثر ضربة سكين ببغداد بعدما نقم عليه الملك أباقاخان ونسبه إلى مواطأة المسلمين فقبض عليه وأخذ أمواله. وكان صدرا كبيرا فاضلا وله شعر حسن وولي بعده بغداد ابن أخيه هارون بن محمد الجويني.للمزيد راجع: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٤٩١؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ص١٥٦؛سبط ابن العجمي (موفق الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، ت: ٨٨٤هـ): كنوز الذهب، ج١، (دار القلم، حلب، ١٤١٧هـ)، ص٦١٥.

عطا ملك كتاب (سركذشت سيدنا) الذي يعالج عقائد الحسن الصباح وخلفائه، وقد اورد الجويني خلاصة له في مؤلفه(١).

ويصف الجويني نفسه هذا الأمر فيقول: "عندما كنت بأسفل لمسر، استولت على الرغبة في تفقد مكتبة ألموت، التي استطار صيتها في الأقطار، فعرضت على السلطان أنه لا ينبغي تضييع نفائس الكتب الموجودة بألموت، فتقبل السلطان طلبي بقبول حسن وأعطى الأوامر اللازمة، فتوجهت لتفقد المكتبة وأخرجت كل ما وجدت من المصاحف ونفائس الكتب على مثال" يخرج الحي من الميت" كما أخرجت الآلات التي كانت موجودة مثل آلات الرصد من الكراس وذات الحلق، والاسطرلابات التامة والنصفية والشعاع، وأحرقت ما بقي وكان متعلقا بضلالاتهم وغوايتهم وهو ما لم يكن مستندا إلى منقول ولا معتمدا على معقول(٢). هكذا استطاع الجويني أن ينقذ مجموعة كبيرة من المصاحف والكتب والات الرصد؛ التي أصبحت بعد ذلك النواة الاولي لمشروع نصير الدين الطوسي الكبير في مراغة(٣) والبداية لانقاذ العلم والعلماء والتراث الحضاري

(١) عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٢٠؛ العريني: المغول، ص٢١٢؛ عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ص١٥٦.

(٢) العريني: المغول، ص٢١٢؛ عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ص٢٧٨.

(٣) مراغة: بالفتح، والغين المعجمة: بلدة مشهورة عظيمة وهي أعظم وأشهر بلاد أذربيجان، مدينة كبيرة مشهورة من بلاد آذربيجان قصبتها. وهي كثيرة الأهل عظيمة القدر غزيرة الأنهار كثيرة الأشجار وافرة الثمار. بها آثار قديمة للمجوس ومدارس وخانقاهات حسنة.، قالوا: وكانت المراغة تدعى أفرازهروذ، فعسكر مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو وإلى إرمينية وأذربيجان وكانت دوابّه ودوابّ أصحابه تتمرّغ فيها فجعلوا يقولون ابنوا قرية المراغة، وهذه قرية المراغة، فحذف الناس القرية وقالوا مراغة، وكان أهلها ألجئوها إلى مروان فابتناها وتألّف وكلاؤه أهلها فكثروا فيها للتقرر وعمّروها ثم صارت لبعض بنات الرشيد، فلما ولي خزيمة بن خازم إرمينية وأذربيجان في خلافة الرشيد بنى سورها وحصّنها =

الإسلامي من الضياع[1].

حيث أيقن الطوسي استحالة تحقيق النصر العسكري على المغول بسبب الانحلال التام للعالم الإسلامي، وما لحق به من تمزق وضعف، وبعد الفشل في جمع شتات المسلمين حول مركزية واحدة بعيدا عن الانقسامات السياسية والمذهبية التي كانت مقسمة بين الإسماعيلية والخلافة العباسية، ولعل هذا ما جعله يعكف على العلم، دون النظر إلى سياسة أو مذهب، وإدراكاً منه أن الطامَّة الكبرى ستحلُّ بالمسلمين إذا ما استطاع الهيمنة فكرياً عليهم، فاستغل الطوسي حاجة هولاكو إليه لخبرته في علم النجوم (الرصد) واخذ في تنفيذ مخططه في الهيمنة الفكرية على المغول وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، غير أن هذه المرة وقعت المسؤولية على عاتقه بعد سقوط القوي العسكرية والسياسية المتمثلة في الإسماعيلية والدولة العباسية.

ومن هنا تبدأ **مرحلة جديدة** ومهمة من مراحل حياة الطوسي في بلاط هولاكوخان القائد المغولي.

ثالثا: الطوسي ودوره في حماية التراث الإسلامي.

في بلاط هولاكو ظهرت الشخصية الاخري للطوسي، فلم يكن ابدا بالشخصية التقليدية؛ حيث استطاع التقرب من هولاكو خان الذي وثق به وجعله مستشارا له، وقد ظلت هذه الثقة لهولاكو وامتدت من بعده لابه ابقاخان، فكان

=

ومصّرها وأنزل بها جندا كثيفا، ثم إنهم لما ظهر بابك الخرّمي بالبذّ لجأ الناس إليها فنزلوها فسكنوها وتحصّنوا فيها، وينسب إلى المراغة جماعة، منهم: جعفر بن محمد بن الحارث أبو محمد المراغي أحد الرحّالين في طلب الحديث وجمعه. للمزيد راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٩٣؛ القزويني: آثار البلاد، ج٢، ص٥٦٢.

(١) عباس سليمان: نصير الدين الطوسي، ص١١٢؛ عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ص١٥٤.

مقربا من هولاكوخان و مستشارا له مدة عشر سنوات حتى توفي هولاكو في (٦٦٣هـ/١٢٦٥م) واحتفظ بتلك المكانة في عهد أبقاخان (٦٦٣-٦٨١هـ/١٢٦٥-١٢٨٢م) ابن هولاكوخان والذي تولي امر المغول من بعده، وظل محتفظا بمكانته وقدره العلمي الكبير لاباقاخان ما بقي من عمره، وهي تسع سنوات أخرى (٦٦٣-٦٧٢هـ/١٢٦٥- ١٢٧٣م)[١].

هكذا استطاع الطوسي كسب ود وثقة المغول هذا الامر الذي جعله يحاول اصلاح ما قد دمروه وما تركوه من تأثير سلبي على نفسه أولا وعلى العالم الإسلامي بشكل عام، ولا سيما بعد دخولهم إلى بغداد (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) والقضاء على الخلافة العباسية، والخليفة المستعصم بالله العباسي (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢- ١٢٥٨م) وما صاحبها من قتل وتدمير وخراب، وطمث للتراث الإسلامي، فكانت وجوده مع هولاكو ومن بعده ابنه أبقاخان (٦٦٣-٦٨١هـ/١٢٦٥-١٢٨٢م) فرصه استطاع الطوسي من خلالها إحياء التراث الإسلامي بأكمله من الخراب الذي حل به، وإن كان المغول انتصروا بالسلاح والحرب في صراعهم مع المسلمين، فقد وجد من انتصر على المغول بالسلاح الفكري ومن ثم ساهم بشكل كبير في إحياء الأمة الإسلامية مرة أخرى كما سنري. **ونرجح أن الطوسي قد اتخذ لقب *نصير الدين* خلال تلك الفترة.**

وإن كان البعض قد اتهم الطوسي بالخيانة للخلافة العباسية وارجع سقوط الخلافة لتلك الخيانة فذكر البعض منهم أن هولاكو قد اصطحب الطوسي معه ضمن من اصطحبهم إلى بغداد (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)[٢]. وأن الطوسي هو من أشار على هولاكو بقتل الخليفة العباسي حين تردد هولاكوخان في ذلك؛ نظرا لما أشيع من أن الخلفاء لا يقتلون، وظن الطوسي أن سؤال هولاكوخان له بمثابة

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٥، ص٢٥٢؛ ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٤٦.
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٦٧.

الامتحان في إخلاصه وبراعته، فهون عليه الطوسي الأمر بالأدلة والبراهين[١] فقتل الخليفه رفسا وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه، فيما قيل لهم، وقيل بل خنق، ويقال بل أغرق[٢]. وغاية القول: إنه تم التخلص منه وقتله أيا كانت الطريق التي قتل بها.

وقد ذكر السبكي أن هولاكوخان قد تخلص من كل من كان مع الخليفة العباسي من العلماء والفقهاء والأكابر، ثم طلب أبناءه الذين كانوا معه فضرب أعناقهم، وأما الخليفة فإنه طلبه ليلا وسأله عن أشياء ثم أمر به ليقتل؛ فقيل لهولاكو إن هذا إن أريق دمه تظلم الدنيا ويكون سبب خراب ديارك فإنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفة الله في أرضه فأشار الخواجا نصير الدين الطوسي وقال: يقتل ولا يراق دمه فغم الخليفة في بساط وقيل رفسوه حتى مات، ولما جاءوا ليقتلوه صاح صيحة عظيمة، وقتلوا أمراءه عن آخرهم ثم مدوا الجسر

(١) أما الأمراء والمنجمين وعلي رأسهم المنجم حسام الدين –الذي اصطحبه معه هولاكوخان– فقد قالوا: إن الذهاب إلى بغداد هو عين المصلحة، وبعد ذلك استدعى هولاكو خان ((نصير الدين الطوسي)) لاستشارته، ولما كان يكره الخليفة، ويعمل على إسقاطه، فقد نقض كل ما قاله حسام الدين، وطمأن هولاكو بأنه لا توجد موانع تحول دون إقدامه على الغزو، ولم يقف عند هذا الحد، بل يؤيد وجهة نظره بالحجج القوية التي تكذب نبوءة حسام الدين، فذكر أن الكثيرين من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ماتوا في الدفاع عن الدين، ومع ذلك لم تقع أية كارثة، وإذا قيل أن ذلك خاص ببني العباس، فإن الكثير من الناس قد خرجوا على هذه الأسرة وقتلوا منهم بعض الخلفاء، دون أن يحدث أي خلل، وأخذ نصير الطوسي يتمثل بطاهر بن الحسين قائد المأمون الذي قتل محمد الأمين، وبالأمراء الذين قتلوا المتوكل والمنتصر والمعتز وغيرهم : للمزيد راجع: عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ص١٦٧، الصياد: المغول، ص٢٥٩؛ الغزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٢١-٢٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٠٠-٢٠١.

وبذلوا السيف ببغداد واستمر القتل ببغداد ولم ينج إلا من اختفى[١].

وعلى الرغم من ذلك الاتهام الموجه لنصير الدين الطوسي؛ إلا أن هناك من نفي هذه التهمة، وعلى رأسهم ابن الأثير الذي ذكر تلك الواقعة الذي اعتمد عليه أغلب المؤرخين: إلا أن ابن الأثير نفسه قد نفي هذه التهمة عنه وقال أن مثل هذا الأمر لا يخرج أبدا من عاقل، فاضل، كريم، مثل نصير الدين الطوسي، وإن ما اتهم به فهو زعم وافتراء[٢].

ونحن هنا لا نقر بالتهمة على نصير الدين الطوسي، أو حتى نبرر له ما فعل إن كان فعل، على الرغم من أن المغول كانوا قد دخلوا بغداد بالفعل ونصبوا المجانيق حول قصر الخليفة الذي تهاون كثيرا في حماية المسلمين ووصل إلى درجة من الضعف والتخاذل، والذي كان مقتله بعد أن استباح المغول كل شيء في بغداد[٣].

وكذلك وعلى الرغم من أن الطوسي شيعي المذهب والخليفة العباسي سني المذهب؛ ومن وجه نظر الشيعة يكون الخليفة العباسي هو خائن مغتصب لحقهم الشرعي في الحكم منذ ظهور الدولة العباسية (١٣٢هـ/٧٥٠م) على مسرح الأحداث التاريخية[٤]. وايا ما كان الأمر من حقيقة اشتراك الطوسي في هذا

(١) السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، ت: ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، (هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ)، ص٢٧١؛ عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ص١٦٧.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٦٧:

(٣) ابن العبري (غريغوريوس ابن أهرون بن توما الملطي، ت: ٦٨٥هـ): تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، (دار الشرق، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م)، ص٢٧٢.

(٤) الشيعة على عمومهم هم الشيعة : هم من تشيعوا لعليا رضي الله عنه على الخصوص، =

الجرم الذي أصاب الأمة الإسلامية؛ إلا أنه يجب الاعتراف بأن جميع العوامل قد توافرت لسقوط الخلافة من تخاذل وضعف الخليفة، وخيانة الشيعة الذين استحوذوا على بغداد بل على الخليفة نفسه، وعلى رأسهم وزيره بن العلقمي، أو الصراعات المذهبية، أو من صراع المغول ووحشيتهم في امتلاك العالم بأسره .

ونستطيع القول: أن هذه المشورة أن صحت كانت سببا مباشرا في سطوع نجم الطوسي، وزيادة مكانته عند هولاكوخان، وزيادة ثقته به، حتى إننا لم نسمع إلا اسم نصير الدين الطوسي في كل ما هو خاص بالمغول خلال فترة حياته، واختفي اسم حسام الدين المنجم تماما من المسرح السياسي المغولي(١).

وعلى أية حال والواضح أن نصير الدين الطوسي قد استاء مما فعله المغول في بغداد من قتل وذبح وتدمير واستباحة للنساء مدة اربعون يوما دون رحمة او رأفة اللهم الا بالنصاري الموجودين ببغداد الذي عين عليهم شحاني(٢)

=

وقالوا بإمامته ووصية نصا اما جليا او خفيا وقالوا ان الامامة لا تخرج من أولاده، وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو تقية من عنده، واكدوا أنها ركن من أركان الدين لا يجوز إهماله أو تفويضه إلى العامة واعتبروا أن ما دون ذلك من الائمة مغتصبون لها. الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٤٦.

(١) عباس الغزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٣٣.

(٢) الشِّحنة: بكسر وتشديد الشين، كلمة تركية تعني رئيس الشرطة والموكل بالأمن في بلد من البلاد لضبط أمور ذلك البلد، ويسمي عمله هذا أو وظيفته تلك "بالشحنكية"، بكسر السين، وكان صاحب الشحنة يتصف بصفات معينة تؤهله لتلك الوظيفة، ويعين من قبل السلطان شخصيًا؛ نظرًا لأهمية هذه الوظيفة للدولة السلجوقية، حيث كان صاحب الشحنة نائب السلطان في العاصمة، ولم يكن هناك فاصل لمهام صاحب الشحنة في الدولة السلجوقية التي كانت تتحدد تبعًا لشخصية صاحبها وقوته، فكلما زادت شخصيته زادت صلاحياته، لتشمل واجبات لوظائف أخري. (للمزيد راجع: محمود فاخوري: أبناء الشحنة، (مجلة الجماهير، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة، حلب، ٢٠١٢م)، ص١١.

حرصوا بيوتهم – ولعل هذا كان باتفاق مسبق بين مسيحي أوروبا والمغول، أو بتأثير من زوجة هولاكو المسيحية–[١]، ومن الواضح أيضا انه قد سكت عن هذا الامر ولم يدافع عن انهيار عرش الخلافة، ولعل صمته هذا كان لكسب ثقة هولاكو خان ودخوله في قلب المغول العدو اللدود للإسلام والمسلمين، وترشدنا الأحداث أن الطوسي كان يؤرخ للأحداث من وجهة نظر المراقب في الجانب المغولي وتمثل هذا في رسالته المشهورة(**رسالة فتح بغداد)** أو **(استيلاء المغول على بغداد)**[٢]. مما يدلنا أن الطوسي كان في تلك الفترة مؤرخا للأحداث وكاتبا لهولاكوخان[٣]؛ بالإضافة إلى كونه مستشارا موثوق الجانب عنده.

(١) ابن الفوطي (كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي، ت: ٧٢٣هـ): مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج٣، تحقيق: محمد الكاظم، (مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ١٤١٦هـ)، ص٣٢٦؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٨٩؛ أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن على بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، ت: ٧٣٢هـ): المختصر في أخبار البشر، ج٣، (المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ب.ت)، ص١٩٤؛ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: ٩١١هـ): تاريخ الخلفاء، ج١، تحقيق: حمدي الدمرداش، (مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٤م)، ص٢٢٢؛ المكي (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العاصمي، ت: ١١١١هـ): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٣، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م)، ص٥١٩؛ عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج١، ص٣٨.

(٢) الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٤٤.

(٣) ذكرت له بعض الرسائل التي كتبها على لسان هولاكوخان، ومنها ما كتبه إلى حاكم حلب بعد استسلام بغداد على يد المغول، كان معه في غزوه على حلب، وقد أمره هولاكو بكتابة مقدمي عسكره واختيار من يصلح فيهم لملك مصر، فأشار عليه بكتبغا (صهر هولاكو)، كذلك كتابه إلى الشام يأمرهم بالتسليم للمغول بأمر من هولاكوخان. للمزيد راجع: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٥٥–٥٦؛ نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤١؛ عباس سليمان: نصير الدين الطوسي، ص٢٠.

غير أن تصرفات الطوسي تأبى أن تنهي هذا الجدال؛ فنراه يحمل الابن الأصغر للخليفة العباسي واسمه مبارك الذي كان يلقب بالمناقب، ويصحبه معه إلى مراغة ويعتني به ويعامله معاملة حسنة ويزوجه من امرأة مغولية، لينجب منها طفلين، وقد عرف هذا الابن في مراغة باسم مباركشاه، وقد بقي بها حتى توفي عام (٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، كذلك حظيت أخواته بنفس التقدير من قبل المغول[١]. ولا ندري أيضا أكان هذا من دافع إحساسه بالذنب لما حدث للخليفة العباسي وأبنائه الذكور الذين قضي عليهم المغول الواحد تلو الآخر، أم كانت هذه هي البداية الحقيقية للإصلاح .

هذا ما تؤكده جهوده في إصلاح ما قد أفسده المغول في بغداد– عاصمة الخلافة العباسية السنية–، حيث بذل كل جهده لإقناع هولاكوخان بإصلاحها، حتى أنه قد كتب له تقريرا بضرورة الإصلاح، وذلك عندما أرسله هولاكو إليها عام (٦٦٢هـ/١٢٦٣م)[٢]. فوجه اهتمامة لهذا الأمر في محاولة منه لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الدمار المغولي، ولا سيما إنقاذ العلم والعلماء[٣]، وما بقي من

(١) عرف بأبي المناقب، كان مولده سنة ٦٤٠ هـ/. توفي في مراغة سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م وذلك بعد أن قتل أخواه الأكبر والأوسط احمد وعبد الرحمن، وبقي هو وأخواته فاطمة وخديجة ومريم في اسر المغول: اما فاطمة فقد توفيت ببلاد العجم في أسر المغول ولم يتعرض لها بسوء، وحملت خديجة إلى بلاد العجم، ثم تزوجت بالإمام أبي المحامد يحيى بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر المنيعي الخالدي، وعاد بها إلى بغداد في سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م إلى أن توفيت سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م، أما مريم كانت باقية في أسر المغول محترمة مكرمة حتى أول سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٨، ص٢٦٢، حاشية ١، ٢، ٣؛ رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج١، ص٢٩٤.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٢، الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٤٥.

(٣) قدر عدد القتلى من العلماء في بغداد خلال تلك المجزرة ٢٤.٠٠٠ اربع وعشرون الف رجل علم. ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢٤.

التراث الإسلامي، مع محاولة لإحياء الأمة الإسلامية وتراثها من جديد. وقد أدرك الطوسي أنه لا يقوى على ذلك إلا بالحيلة وترويد الفكر المغولي بفكر آخر مناهض له.. لأن الفكر لا يواجه الا بفكر يصدي له بل ويسعي للتفوق عليه.

- **السلاح الفكري لنصير الدين الطوسي:** عاد نصير الدين الطوسي مع هولاكو إلى مراغة قاعدة الدولة المغولية الجديدة، كان هولاكو مثل كثير غيره من الحكام مولعا بعلم الاختيارات(١) والتنجيم، وربما كام هذا الأمر هو الذي كتب لنصير الدين الطوسي الحياة والنجاة من هجمات المغول الوحشية، وثبت أقدامه في البلاط المغولي، فأصبح مصدرا لثقة هولاكو الذي جعله مستشارا مؤتمن في كل شيء(٢) كما اصبح عنده ذات منزلة عظيمة يستشيره في جل الأمور ومن هنا جاءت الفرصة للنصير الدين طوسي ليكون بمثابة طوق النجاة للإسلام والمسلمين وللحضارة الإسلامية بشكل عام.

وأول ما فعله الطوسي بعد أن اطمئن على نفسه في بلاط هولاكو هو تبرأت نفسه والتخلي عن المذهب الاسماعيلي الذي لازمه في قلاع الإسماعيليين، وأعلن نفسه شيعي اثني عشري وكان ذلك في عام (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)(٣)، ومن منطلق هذا الإعلان أثبت الطوسي مقدرته

(١) علم الاختيارات هو ما يسمي بعلم التنجيم وعلم الأحكام، والتنجيم يشمل الاختيارات، اذا كانت الاختيارات تدل على اختيار الوقت المناسب لإجراء عمل ما، وهو جزء من التنجيم، وقد فشا هذا العلم في العصور الإسلامية السابقة، حتى إننا وجدنا لكل خليفة او امير مستشارا له علم بالاختيارات، وقد ألفت كتب عديدة في هذا المجال. للمزيد راجع: نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٣٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٠، ص١١٤.

(٣) ومنذ هذه اللحظة بدأ يؤلف مؤلفات صرحة في مذهب الامامية الاثني عشرية للمزيد راجع. نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤٠؛ عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٣٣؛ عباس سليمان: نصير الدين الطوسي، ص٢٠؛ الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٤١.

الدبلوماسية الفائقة في إقناع هولاكوخان بنفسه، وبعقيدة لا تثير غضب هولاكو، زعيم المغول الذي كان كارها تمام للإسماعيليين بقدر كرهه لأهل السنة، فجاءت الأحداث لتخدم الطوسي في إعلان مذهب لا يغضب سيده وكذلك تثبيت أقدامه وكسب ثقة المغول في أن واحد، ولعل هذا الإعلان وما فعله نصير الدين الطوسي جعله الزعيم العقلي للفكر الشيعي بلا منازع حتى يومنا الحاضر(١).

ومما لا شك فيه أن الطوسي استطاع أن يسيطر على عقل هولاكو، ويقنعه بعلمه الواسع في علم الفلك والنجوم وقراءة المستقبل، مما سيكشف له عنما يريد، ومن ثم أقنعه بضرورة بناء مرصد فلكي في مدينة مراغة ليتمكن من معرفة الطالع ويستكمل انتصاراته وتوسعاته، ومن ثم وافق هولاكو، على إنشاء المرصد(٢).

وذكر أنه لما أراد العمل للرصد رأى هولاكو ما يغرم عليه، فقال له: "هذا العلم المتعلق بالنجوم ما فأيدته؟ أيدفع ما قدر أن يكون؟ فقال: أنا أضرب لك مثلاً: يأمر القان من يطلع إلى هذا المكان، ويرمي من أعلاه طشت نحاس كبير من غير أن يعلم به أحد، ففعل ذلك، فلما وقع كانت له وقعة عظيمة هائلة روعت كل من هناك، وكاد بعضهم يصعق، وأما هو وهولاكو فإنهما ما حصل لهما شيء لعلمهما بأن ذلك يقع، فقال له: هذا العلم النجومي له هذه الفائدة، يعلم المتحدث فيه ما يحدث فلا يحصل له من الروعة ما يحصل للذاهل الغافل عنه، فقال له: لا بأس بهذا، وأمره بالشروع فيه(٣).

---

(١) عباس سليمان: نصير الدين الطوسي، ص٢٠؛ الأعسم: الفيلسوف نصير الدين،

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٩، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٠، ص١١٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٤٧؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٥١٠؛ الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٤٢.

(٣) ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٤٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٤٧-١٤٨.

وبدأ الطوسي في تنفيذ خطته، ومشروعه في إنقاذ العالم الإسلامي وتراثه العلمي عن طريق الغزو الفكري للمغول، فأخذ يضخم من أمر المرصد لهولاكو وأقنعه بأنه وحده عاجز عن القيام بهذا البناء الشامخ، ولا بدّ له من مساعدين أكفّاء له، سواء في البلاد التي سيطر عليها المغول أو في خارجها، ثم بدأ الطوسي يدفع بهولاكو دفعا لجلب العلماء من كل مكان إلى مراغة لإقامة مرصدها الفلكي الكبير، حيث أقنع هولاكوا بضرورة الحفاظ على جميع العلماء والأطباء والمنجمين والفلاسفة والفضلاء في كل البلاد؛ وذلك لمساعدته في هذا المرصد، وقد وافق هولاكو على ذلك وأصبح العلماء والأطباء والشيوخ والمهندسون في مأمن من القتل المغولي المدمر حيث اصطحبهم الطوسي معه إلى مراغة(١).

وفي هذا الصراع حقق المد الشيعي مكاسب سياسية بعدما اقترب من المغول، وصارت له الحظوة والسيطرة، وصارت مؤلفاتهم منتشرة مما جعل لهم تواجدا فكريا؛ بل حققوا مدا شيعيا يضاف إلى نجاحاتهم السابقة باعتناق عدد غير قليل من المغول الإسلام على المذهب الشيعي، وهنا حقق السلاح الفكري لنصير الدين الطوسي عدة نجاحات.

وعلي الفور عمد نصير الدين الطوسي إلى تكليف الحكيم فخر الدين لقمان بن عبد الله المراغي، وكان من أعيان مراغة وعهد إليه بالتطواف في البلاد الإسلامية وتأمين العلماء والنازحين في فترة المغول إلى بلاد العرب، ودعوتهم للعودة إلى بلادهم، ثم دعوة كل من يراه كفؤا في عمله وعقله من غير النازحين فكانت الخطوة الأولى في تأمين العلماء من القتل المحتم على يد المغول.

وبالفعل توجه فخر الدين إلى البلاد العربية وغيرها ليحثَّ العلماء الذين فروا

(١) الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري، ص٤٠؛ نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤٢؛ الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص١٠٢-١٠٣.

بأنفسهم من الغزو المغولي، ويدعوهم إلى الإقامة في مراغة، فتوجّه إلى إربل، والموصل، والجزيرة، ومن كان قد سكن هذه البلاد فجاء منهم ما يزيد على خمسمائة بيت وكان بين نزوحهم ورجوعهم مدّة أربعين سنة(١).

وعلى هذا لقيت دعوة الطوسي استجابة كبرى ليس من العلماء النازحين فحسب، بل من غيرهم من العلماء العرب وغير العرب الذين لبوا الدعوة ورحلوا إلى مراغة حيث اجتمع هناك علماء من دمشق ومن الموصل ومن قزوين ومن تفليس ومن سائر البلاد الإسلامية(٢).

وقد شرع نصير الدين الطوسي في البناء في (٦٥٧هـ/١٢٥٩م) وقد أمدنا نصير الدين الطوسي نفسه بأشهر من شاركه من العلماء في هذا البناء، حيث قال: "إنني جمعت لبناء المرصد جماعة من الحكماء: منهم المؤيد العرضي من دمشق، والفخر المراغي" الذي " كان بالموصل، والفخر الخلاطي الذي كان بتليس، ونجم الدين القزويني، والمؤيد العرضي من دمشق، وقطب الدين

(١) ابن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الصابوني، الشيخ الإمام المحدث المؤرخ الإخباري الفيلسوف، المعروف بابن الفوطي المعروف بابن الفوطي الشيباني ولد في٦٤٢- وتوفي في ٧٢٣ هـ) وهو صاحب، ذكر أنه من ولد معن بن زائدة الشيباني، أسر في واقعة بغداد، وصار للنصير الطوسي، فاشتغل عليه بعلوم الأوائل، وبالآداب والنظم والنثر، ومهر في التاريخ للمزيد: راجع: ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٢، ص٣١٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٢٥٠؛ العسقلاني: (أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن حجر (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٩م): لسان الميزان، ج٧، تحقيق، دائرة المعرف النظامية، الهند، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط٢، ١٩٧١م)، ص١٥٥؛ ابن الفوطي: مجمع الآداب، ج٣، ص١١١؛ حسن الأمين: الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، (مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط٢، ١٩٩٧م)، ص٤٦؛ أعيان الشيعة، ج٩، (دار المعارف، بيروت، ب.ت)، ص٤١٧؛ الغزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٣١.

(٢) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤٧؛ الغزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٢٤، ٣٠.

الشيرازي، وشمس الدين الشيرواني، وكمال الدين الإيجي، وحسام الدين الشامي، وصدر الدين على بن نصير الدين الطوسي، وأصيل الدين حسن بن نصير الدين الطوسي، ونجم الدين على البغدادي، وابن الفوطي، والخواجة شمس الدين بن محي الدين بن عربي، وقومنجي (تومة جه) الصيني الملقب ب (سينك سينك) أي العارف[١]، وهذا يعني أنه شرع في التنفيذ بعد سقوط بغداد مباشرة. فقد بدأ نصير الدين في (٦٥٧هـ/١٢٥٩م)، وكان سقوط بغداد في (٦٥٦هـ/١٢٥٦م)[٢] وقد استمر هذا البناء خمس عشر سنة (٦٥٧-٦٧٢هـ/١٢٥٩-١٢٧٠م) حيث أتم الرصد[٣] في نفس العام الذي توفي فيه الطوسي[٤].

إلى جانب المرصد، قام الطوسي ومن معه من العلماء برصد الكواكب، وعينوا لها دوائر الطول والعرض، وصنفوا الزيج الإيلخاني الذي استنبطه من

(١) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٠، ص١١٤؛ نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤٤-٥٤٥.

(٣) لم يكن هذا الرصد هو الأول في البناء بل سبقه أرصاد كان الاعتماد دون غيرها هي: رصد برجس، وله مذ بني ألف وأربعمائة سنة، وبعده رصد بطليموس، وبعده في ملة الإسلام رصد المأمون ببغداد، وله أربعمائة سنة وثلاثون سنة، والرصد البناني في حدود الشام، والرصد الحاكمي بمصر، ورصد بني الأعلم ببغداد وله مائتان وخمسون سنة، وقال الأستاذون: إن أرصاد الكواكب " السبعة " لا تتم في أقل من ثلاثين سنة، لأن فيها يتم دوران هذه السبعة، فقال هولاكو: اجهد في أن رصد هذه السبعة يتم في اثنتي عشرة سنة، قلت: أجتهد في ذلك. للمزيد راجع: ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٥١؛ نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤٥.؛
ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٠، ص١١٤؛ نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤٤-٥٤٥.

(٤) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤٥.

الرصد ونشره في كتاب خاص، احتوى على جداول حسابية جديدة لم تكن معروفة من قبل لذلك كان هذا الزيج هو المعتمد عليه في أوروبا خلال عصر النهضة[١]، وأسس الطوسي مجمعا فلكيا اعتبر أول مجمع فلكي علمي حقيقي في الإسلام اتخذ الصفة اليونانية Akademeia، كما أسس الطوسي مكتبة ضخمة جعلها في متناول ايدي الباحثين في مراغة، وقيل أنها قد حوت على حوالي نصف المليون كتاب[٢]، جمعت لخدمة المرصد وجمعها من العراق والشام والجزيرة، بالإضافة إلى ما تم شراؤه من كتب أخرى، فاتسعت المكتبة حتى شملت كل العلوم وعلى رأسها الفلسفة، التي كان عاشقا لها، وجعل نصير الدين أمور تنظيمها إلى ابن الفوطي[٣] الذي كان بمثابة شاهد عيان على ما انجز في

(١) الزيج – وجمعه أزياج– هو جداول رياضية عددية، تحدد مواضع الكواكب السيارة في أفلاكها وقواعد معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية، والتقويم، تعتمد هذه الجداول على قواعد حسابية وقوانين عددية دقيقة، وقد وضع علماء المسلمين عددًا من هذه الجداول والأزياج، أشهرها زيج البتاني وزيج الخوارزمي والزيج الحاكمي. للمزيد راجع : الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب، ت:٣٨٧هـ): مفاتيح العلوم، ج١، تحقيق: إبراهيم الإبياري، (دار الكتاب العربي، ط٢، د.ت)، ص٢٤٢–٣٤٣؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، وآخرون: الحضارة الإسلامية، ص١١٢؛ نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤٥؛ عباس الغزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٢٤، ٣٠.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٥، ص٢٥٢؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٥١٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٣٠.

(٣) وكان ذلك زهاء العشر سنين حيث عاديعدها إلى بغداد سنة (٦٧٩هـ/١٢٨٠م) فصار خازن كتب (المستنصرية) ثم رحل إلى تبريز وأقام بها مدة طويلة عند الوزير رشيد الدين الهمذاني، وعندما قتل رشيد الدين (سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م) وأحرقت كتبه وكتب ابن الفوطي ايضا. عاد إلى بغداد، فاستقر بها إلى أن توفي فيها. وله نظم جيد. وكان يتقن الفارسية وله بها شعر. والفوطي جدّه لأمه، نسبته إلى بيع الفوط. الزركلي: الاعلام، ج٣، ص٣٤٩.

تلك الفترة[١].

لم يكتف الطوسي بذلك ولا سيما في ظل حبه للعلم وتقديره قيمة الحضارة التي شاهد بنفسه تدمير المغول لها دون اكتراث، فقال لهولاكو أن يبقي على الكتب التي تجدها في جميع البلاد التي يدخلونها بعد ذلك، لأنهم بحاجة إليها في بناء المرصد وإلى علومها القيمة في البحث وكذلك معرفة كافة المعلومات؛ ومن ثم وافق هولاكو ونقل الكثير من الكتب إلى مراغة ولا سيما الكتب التي كانت بالأوقاف والمدارس ببغداد وغيرها، وهو بذلك استطاع الحفاظ على ما تبقي من التراث الحضاري للدولة الإسلامية الذي أوشك المغول على تدميره[٢].

وكان له في كل بلد نائب يستغل الأوقاف ويأخذ عشرها ويحمل إليه؛ ليصرفه في جامكيات (رواتب) المقيمين بالرصد، وما يحتاج إليه من الأعمال بسبب الأرصاد، وكان للمسلمين به نفع خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم، وكان يبرهم ويقضي أشغالهم ويحمي أوقافهم، وكان مع هذا كله فيه تواضع وحسن ملتقى[٣].

فأفرد للفلاسفة والمهندسين ثلاثة دراهم في اليوم والليلة، وأفرد للطبيب في اليوم درهمان، وجعل لكل فقيه فيها درهما في اليوم، وجعل لكل محدث نصف درهم في اليوم[٤]؛ فاطمئن الجميع على أنفسهم وأرزاقهم، وكذلك وضعهم الاقتصادي، وأصبح العلم والعلماء في أمان[٥].

ومن ثم مضى العمل في مراغة منظما دقيقا، وانصرف العلماء بإشراف من نصير الدين منفذين مخططا مدروسا، فلم يمض وقت كبير حتى كانت المكتبات

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٠، ص١١٤.
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٩.
(٣) ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٥٠.
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٩.
(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٩؛ نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤٧.

تغص بالكتب، وحتى كانت مكتبة مراغة بالذات تضم مجموعة لم يجتمع مثلها في اي مكتبة أخرى، وحتى كانت المدارس تقام في كل مكان، وحتى كانت الثقافة الإسلامية تعود حية سوية، وحتى كانت النفوس مشبعة بالأمل والقلوب مليئة بالرجاء، وحتى كان الدعاة ينطلقون في كل صوب والهداة ينتشرون على كل جهة(١).

وفي ذلك يذكر الصفدي رواية عن شمس الدين الجزري الذي قال:" قال حسن بن أحمد الحكيم صاحبنا – والذي عاصر تلك الأحداث–: "سافرت إلى مراغة، وتفرجت في الرصد ومتوليه على بن الخواجا نصير الدين الطوسي، وكان شاباً فاضلاً في التنجيم والشعر بالفارسية، وصادفت شمس الدين " ابن " المؤيد العرضي وشمس الدين الشرواني والشيخ كمال الدين الأيكي وحسام الدين الشامي، فرأيت فيه من آلات الرصد شيئاً كثيراً، منها ذات الحلق وهي خمس دوائر متخذة من نحاس: الأولى دائرة نصف النهار، وهي مركوزة في الأرض، ودائرة معدل النهار، ودائرة منطقة البروج، ودائرة العرض، ودائرة الميل، ورأيت الدائرة الشمسية التي يعرف بها سمت الكواكب، وأخبرني شمس الدين العرضي أن نصير الدين أخذ من هولاكو بسبب عمارة هذا الرصد ما لا يحصيه إلا الله تعالى خارجاً عن الجوامك والرواتب التي للحكماء والقومة(٢).

وعلي ما يبدو أن نصير الدين الطوسي قد جعل إدارة المرصد لابنه صدر الدين علي، كما جعل خزانته تحت إشراف ابن الفوطي، وكان صدر الدين الطوسي شابا فاضلا في التنجيم والشعر بالفارسية كأبيه(٣)، ونرجح انه كان متميزا أيضا في العلوم الدينية كأبيه، لذا لقب بصدر الدين.

كما كان للنصير من الأبناء أيضا: الأصيل حسن، والفخر أحمد؛ بالرغم

(١) حسن الامين: الإسماعيليون والمغول، ص٤٦.

(٢) ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص؛٢٥٠ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٥٠.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٥٠.

من أن المصادر لم تخبرنا شيئا عن زواج نصير الدين الطوسي، ولا عن اسم زوجته، ومتى تم هذا الزواج، **ولكن على الأرجح** أن هذا الأمر قد تم بعد استقراره في قلاع الإسماعيليين، حيث ذكرت لنا المصادر أن ابنيه على والأصيل قد شاركاه في بناء رصد مراغة، هذا الأمر الذي تم في السنة التالية لالتحاقه بهولاكو خان، وهذا يدل على وجود أبناء له قبل هذا الحدث بسنوات كافيه تؤهلهم للقيام بهذا الأمر، بل وتوليه بعده كما سنري، أضف إلى ذلك أن الطوسي عندما انضم لهولاكوخان كان يبلغ من العمر ٥٨عاما مما يؤكد وجود أبناء له في سن الشباب.

ولم يتوقف الطوسي عند هذا الحد وأراد الحفاظ على المنشآت المعمارية، ولا سيما الدينية منها فتحدث إلى هولاكو في حاجة المرصد إلى أموال كثيرة حتى يوفي الغرض منه، وقد كفي هولاكو تحمل أية مصاريف وأعباء مقابل أن يجعل له الإشراف على الأوقاف الخاصة بالمسلمين في جميع البلاد التي سيطر عليها المغول(١). وكانت فرصة طيبة أمام المغول وعلى رأسهم زعيمهم هولاكو لبناء مرصدا عالميا يحقق من خلاله ما يتمني دون أن يكلفه الأمر شيئا – من وجه نظر هولاكو– وقد كانت الموافقة على الفور ولا سيما في ظل ثقة هولاكو المتناهية في نصير الدين الطوسي، فوافق هولاكو واصبح تحت حكمه جميع الأوقاف في جميع البلاد التي تحت حكم المغول(٢) فأمنت المساجد والمشاهد التي كانت مهدده بالدمار(٣).

وقد شهد علماء الفلك بهذا الإنجاز العظيم الذي قام به الفيلسوف نصير

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٩؛ نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٩؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج١، ص٢٨٧.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٩؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج١، ص٢٨٧.

الدين الطوسي بمرصد مراغة، والذي كما ذكروا: ضم أكبر العلماء من شتى البقاع، وترك العديد من المؤلفات التي مازالت تمدنا بالمعلومات حتى وقتنا الحاضر(١).

وهذا الحراك العلمي والاهتمام بالعلماء والمنشأت والمخترعات قد ساهم بشكل كبير– في توقيت امتلأ بالصراعات السياسية والمذهبية والفكرية– في حماية التراث والموروث والعلم لأن العلم باق ببقاء العلماء.

ظل العمل في على قدم وساق حتى توفي هولاكوخان (٦٦٣هـ/١٢٦٥م) وتولي الحكم بعده ابنه أباقاخان (٦٦٣–٦٨١هـ/١٢٦٥–١٢٨٢م)(٢). غير أن هناك ثمة خلاف لابد من الوقوف عليها قبل الانتقال إلى أباقاخان واستكمال مشروع نصير الدين الطوسي، وهو أن بعض المؤرخين القدامى والجدد قد أكدوا على أن نصير الدين الطوسي كان وزيرا لهولاكوخان ثم لابنه أباقاخان(٣)، إلا أن الدراسة تؤكد أنه لم يكن وزيرا بالمعني المتعارف عليه تاريخيا، ولم يدرج ضمن أسماء الوزراء الفعلين لهولاكو أو لأباقاخان، ولم يذكر أبدا في دستور وزرائهم(٤).

(١) عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٢٤، ٣٠.

(٢) أباقاخان هو الابن الاكبر والارشد لهولاكوخان بن تولوي خان بن جينكيز خان وامه "بيسوننجين خاتون" ولد في شهر طارام" سنة"يوند" الموافق جمادي الأولى سنة(٦٣١هـ/١٢٣٤ م)، وجلس على العرش في ٦٦٣يوم الجمعة الخامس من "شون" سنة"هوكار"الموافق ٣ رمضان(٦٦٣ هـ/١٢٦٤م)، توفي في سنة ٦٨٠هـ/١٢٨٢م كانت مدة حياته تسعا وأربعين سنة وسبعة أشهر، بينما كانت مدة حكمه سبع عشر سنة واربعة اشهر.. للمزيد راجع: رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج٢، ص٣؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي في عهد أسرة الإيلخانيين (أسرة هولاكوخان)، (منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٩٨٧م)، ص٣٣.

(٣) الإربلي: تاريخ إربل، ج١، ص٤٦٣.

(٤) خواندمير : دستور الوزراء، ص٣٠١–٣٠٣.

ولكنه كان عالما فيلسوفا امينا، نال الحظوة والمكانة والثقة لدي ايلخانات المغول، فأصبح مستشارا مؤتمن في كل شيء واي شيء ولا سيما ما يتعلق بالرصد والنجوم.

ومما يدل على ذلك الرأي ذكر بعض المؤرخين(١) لتولي أبنائه من بعده كل ما كان بيده مما يتعلق بمرصد مراغة وأعمال بغداد، دون ذكر منصب الوزارة، ولعل ابن كثير قد أكد هذا الرأي حيث ذكر: أن هولاكوخان قد اختار النصير ليكون في خدمته **كالوزير والمشير**(٢). وهذا هو الأرجح.

وثمة اختلاف آخر لابد من الوقوف عنده قليلا ألا وهو: قصة اعتناق هولاكوخان للإسلام، فقد حكى عن النجم أحمد بن البواب النقاش نزيل مراغة أنه قال: " عزم هولاكو على زواج بنت ملك الكرج فأبت حتى يسلم فقال عرفوني ما أقول فعرضوا عليه الشهادتين؛ فأقر بهما وشهد عليه بذلك خواجا نصير الدين الطوسي وفخر الدين المنجم؛ فلما بلغها ذلك أجابت فحضر القاضي فخر الدين الخلاطي، وتوكل لها النصير ولهولاكو الفخر المنجم وعقدوا العقد باسم تامارخاتون بنت الملك داود إيواني على ثلاثين ألف دينار قال ابن البواب: وأنا كتبت الكتاب في ثوب أطلس أبيض"(٣).

---

(١) ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٥١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٠١.

(٣) هناك عديد من المصادر تشير إلى أنه قد اعتنق المسيحية، وذلك نظرا لتعاطفه مع المسيحيين في أكثر من موقف غير أن هذا أيضا لم يثبت تاريخيا، وربما كان هذا التعاطف بتأثير من أمه سيورقوقيتي وزوجته المقربة إليه دوقوزخاتون وكذلك إرضاء لحلفائه من الأرمن، وتؤكد المصادر أن مراسم دفن هولاكو كانت على التقاليد الفارسية، حيث وضع في تابوت من خشب، وقيل أنهم لم يدفنوه بل علقوا تابوته بسلاسل في قلعة تلا من أعمال سلماس. اليونيني: ذيل مرأة الزمان، ج ٢، ص٢٥٨؛ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٤٦؛ سبط بن العجمي: كنوز الذهب، ج١، ص٦١٢؛
B. Spuler, The Muslims World, the Mongol Period (Leiden,1960); vol.2. p.26; chambers, the Devils of Horsemen, p.14

وبالرغم من ذلك فلم تذكر المصادر عن اسلام هولاكو سوي هذه الرواية، وعلى ما يبدو أن هذا الأمر قد تم لضمان الزيجة وإتمامها، ولا سيما أن عشقة وولعه للنساء كان احد نقاط ضعفه كما يذكر رشيد الدين الهمذاني[١]، فلا ضرر أن ينطق بالشهادتين بغية الزواج، غير انه من المؤكد تاريخيا أن هولاكوخان لم يجعل الإسلام دينا لدولته ولم يعلن إسلامه بشكل رسمي[٢]. ولعل هذا الأمر يكون محاولة من نصير الدين الطوسي للتمهيد لنشر الإسلام بين المغول وهو ما تم بالفعل في حكم أبناء هولاكوخان.

وعلى أية حال فقد توفي هولاكو بعلة الصرع وأخفوا خبر موته وجعلوه في تابوت، وكان ابنه أباقاخان غائبا فطلبه المُغول وملكوه، وهلك هولاكو وله ستون سنة أو نحوها في سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) وخلف من الأولاد سبعة عشر ولدا سوى البنات[٣].

---

(١) كان لهولاكو زوجات وسراري كثيرات منهن المشهوراتالاتي وصلن اليه عن ابيه بحكم قانون الياسا – الذي كان ينص بان يرث الابن الكبر زوجات ابيه– ومنهن من تزوجهن بنفسه، رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ص٢٢٠.

(٢) الرغم من ان بعض المصادر ذكرت أن هولاكوخان قد أسلموا هذا مشكوك فيه، والبعض الآخر قال إن أباقاخان قد أسلم وهذا لم يثبت صحته، إلا أن المؤكد هو أن أحمد تكودار بن هولاكو قد أعلن إسلامه _ على المذهب الشيعي– ولقب نفسه بالسلطان أحمد وأرسل بهذا الشأن إلى علماء بغداد وأعلن نفسه حاميا للإسلام وتابعا لرسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن هنا لا نشك في أن الطوسي لعب دورا مهما في ذلك الأمر؛ محدثاً بذلك تحولاً نوعياً في مسار الأمة ومجريات الأحداث وإدارة الصراع المغولي الإسلامي. للمزيد راجع: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٧، ص٢٣٣–٢٣٤؛ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٤٦؛سبط بن العجمي: كنوز الذهب، ج١، ص٦١٣–٦١٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤، ص٢٤٠؛ بشار: تاريخ الإسلام، ج١٥، ص١٠٧؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص١٢٦.

(٣) كان هلاكه بعلّة الصَّرع، فإنه حصل له الصَّرع منذ قتل الملك الكامل صاحبَ مَيّافارقين، فكان يعتريه في اليوم المرّة والمرّتين. ولمّا عاد من كسرة برَكة له أقام يجمع العساكر، =

وبقي النصير محتفظاً بمكانته بين المغول بعد تولي أباقاخان زعامة المغول بعد أبيه هولاكوخان، بل استطاع أن يسيطر عليه مثلما كان الأمر في عهد أبيه هولاكوخان، فقد جلس أباقاخان على عرش السلطنة بعد أن اختار له الخواجة نصير الدين الطوسي الطالع المناسب لذلك "وكان الطالع في أواسط برج السنبلة" والذي وافق الثالث من شهر رمضان من نفس العام (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) وبعد أن ألقى خطبة عدد فيها محاسن السلطان الجديد أباقاخان[١].

وكان أباقاخان كما وصفه المؤرخون يتصف بالعقل والكفاية والعلم والدراية، ولما تولى عرش السلطنة كان سعيدا منصورا في جميع حركاته وسكناته محبوبا من الجميع[٢] واستطاع نصير الدين الطوسي أن يؤثر فيه من خلال النصائح في تحسين الوضع العام، فاطمأن الناس على أنفسهم وأموالهم

=

وعزم على العَوْد لقتال بركة، فزاد به الصَّرعُ، ومرض نحوًا من شهرين، وهلك، فأخفوا موته، وصبّروه، وجعلوه في تابوت، ثمّ أظهروا موته. وكان ابنه أبْغا غائبًا فطلبوه ثمّ ملّكوه، وهلك هولاكو، وله ستّون سنة أو نحوها. وقد أباد أُمماً لا يحصيهم إلّا الله، ومات في هذه السّنة .وقيل: في سابع ربيع الآخر سنة ثلاثٍ وستّين ببلد مَرَاغة، ونُقِل إلى قلعة تلا، وبنوا عليه قُبّة. وخلَّف من الأولاد سبعة عشر ابنًا سوى البنات، وهم :أبغا، وأشموط، وتمشين، وتكشي – وكان تكشي فاتكًا جبّارًا – وأجاي، ويَستَز، ومنكوتمر الّذي التقى هو والملك المنصور على حمص، وانهزم جريحًا، وباكودر، وأرغون، ونُغابي دمر، والملك أحمد. للمزيد راجع: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٧، ص٢٣٣–٢٣٤؛ ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٤٦؛ سبط بن العجمي: كنوز الذهب، ج١، ص٦١٣–٦١٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤، ص٢٤٠؛ بشار: تاريخ الإسلام، ج١٥، ص١٠٧.

(١) رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج٢، ص٣؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٥.

(٢) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج١، ص٢٨٥.

بعض الاطمئنان[١].

وكان أباقاخان مثل أبيه هولاكوخان في الاهتمام الملحوظ بالعالم نصير الدين الطوسي الذي كان يصحبه معه في تنقلاته ويستشيره في أمور الدولة، كذلك اهتم بالمرصد الفلكي تحت إشرافه، وكان أباقاخان يشجع تلاميذ الطوس على ضرورة الاستفادة من علمه، وفي ذلك يذكر العلامة قطب الدين محمود الشيرازي الذي تتلمذ على يد نصير الدين ولازمه وقرأ عليه- أن أباقاخان اجتمع به، فلقي منه الترحيب والتشجيع، وكان مما قال له: "أنت أفضل تلامذة النصير، وقد كبر وشارف الموت فاجتهد حتى لا يفوتك شيء من علمه"[٢].

وفي حلقة أخرى من حلقات الفكر والبناء الثقافي وحماية التراث حاول نصير الدين الطوسي الاستفادة من أباقاخان في إصلاح الأمور الاجتماعية والثقافية والفنية في بغداد، وبالفعل حصل منه على كثير من الوعود التي لم ترقي لدرجة التنفيذ، غير أن الطوسي لم ييأس وظل يلح في طلبة، حتى استجاب السلطان أباقاخان؛ ففي عام(٦٦٧هـ/١٢٦٩م) تحرك أباقاخان ومعه مجموعة من القواد والعلماء على رأسهم نصير الدين الطوسي إلى بغداد وقد ابدي بعض محاولات الإصلاح فيما أفسد ثم عاد إلى مراغة مرة أخرى[٣].

غير أن تلك الإصلاحات لم تكن لترضي الطوسي ولم تكن لتزيل الدمار الذي لحق ببغداد على يد المغول؛ لم ييأس نصير الدين الطوسي وبدأ في تكرار محاولاته ضاغطا على أباقاخان الذي استجاب لإلحاحه المستمر؛ فقد تكررت زيارة السلطان المغولي إلى بغداد (٦٧٢هـ/١٢٧٣م) وكانت في هذه المرة بمثابة

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٩٧؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١، ص١٨٧؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج١، ص٢٨٥.

(٢) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص١١٥. نقلا عن مخطوط اعيان العصر واعوان النصر لصلاح الدين الصفدي، ج٧، ورقة ١٤١-١٤٣.

(٣) الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص ٥١-٥٢.

الحملة التفتيشية على جميع الأوضاع الأمنية والعلمية في بغداد، وبالفعل قضى أباقاخان في هذه الحملة فصل الشتاء بالكامل يرتب الأوضاع بها، ثم عاد إلى مراغة في العام نفسه (٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، غير أن الطوسي قد تخلف في العودة معه وفضل البقاء في بغداد للإشراف بنفسه على تنفيذ تلك الإصلاحات وكان النصير مصطحبا معه مجموعة من تلاميذه وأصحابه(١).

وعلى الجانب الآخر ومع استقرار دولة مغول الايلخانين في فارس هدأت الأمور السياسية بعض الشيء، إلا أن صراعهم مع المماليك لم ينته، فكان هناك عداء في معظم الفترات وتم افساح المجال للغزو الفكري والعقائدي كحلقة سلمية من حلقات ذلك الصراع الذي توقف بعض الشيئ حربا، لكنه لم يتوقف سلما.

ثالثا: مؤلفات نصير الدين الطوسي:

لم تقتصر إسهامات الطوسي فقط على حماية التراث الإسلامي وحماية العلم والعلماء في عصره، بل ترك لكل من يأتي بعده ثروة علمية شاملة، في العلوم الصرف كالهندسة والجبر والمثلثات والفيزياء، والمنطق والأخلاق والتربية، العلوم الفلكية، كالفلك والتنجيم والاختبارات والإسطرلاب، وكان للفلسفة عنده بموضوعاتها المختلفة مكانة مهمة، بالإضافة إلى مؤلفاته في السياسة وعلم الكلام، كما وضع كتباً في التاريخ والجغرافيا والطب، علاوةً على الشعر وفنّه، وكانت له أيضاً أسرار مهمة في التصوف الفلسفي البحت(٢). فكانت النهضة العلمية آنذاك في قمة نشاطها(٣).

ترك الطوسي لنا إرثا علميا عظيما تجاوز المائة وستون عملا كتبها خلال فترات حياته المختلفة سواء في الفترة السابقة على التحاقه بالإسماعيليين،

(١) ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٥١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٥٠؛ الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٥٢–٥٣

(٢) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٤٢.

(٣) الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢٩–٣١؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص٧٩.

أو الفترة التي قضاها في قلاعهم[١]، أو الفترة التي انتقل فيها مع المغول، وهي ما بين العلمي والفلسفي كتب بعضها بالعربية والبعض الآخر بالفارسية[٢] كما كانت له مؤلفات بالتركية فقد ترجم بعض الكتب اليونانية[٣] شملت مؤلفاته شتى علوم المعرفة مما يدل على رجاحة عقله، وكان لتلك المؤلفات أثر كبير في تقدم العلم والفكر مما جعل سارطون يقول: إنه من أعظم علماء الإسلام وأكبر رياضيهم[٤].

وقد قسمها الاعسم[٥] من حيث موضوعاتها الي:

١- العلوم العقلية: وتشمل (الفلسفة، والأخلاق وعلم الكلام، السياسة والمنطق)

٢- العلوم الصرفية وتشمل: الهندسة والرياضيات والمثلثات والجبر، والفزياء)

٣- العلوم الدينية وتشمل : (الفقه واصول الفقه، والعقيدة الدينة، والتفسير)

٤- العلوم الفلكية وتشمل:(الفلك، الرصد، الزيج، التنجيم، التقويم، الاسطرلاب، الجفر.

٥- العلوم الإنسانية الأخرى وتشمل : التاريخ و الشعر والموسيقي، التربية، والجغرافيا)

٦- العلوم الطبيعية الأخرى وتشمل: (الطب، الجواهر)

بالإضافة إلى أشعاره التي ضمت العربية والفارسية والتركية أيضا والتي جمعها في كتاب مستقل سماه (معيار الأشعار)[٦].

---

(١) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣٨؛ عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٣٤.

(٢) ملحق رقم (٢)

(٣) نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣٨؛ عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٣٣؛ سارطون: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص٢٠٧

(٤) سارطون: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص٢٠٧.

(٥) الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص١٠٠-١٠١.

(٦) الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٧٢، ٧٥.

وأخيرا: وليس آخرا نقول: بالرغم من أن بغداد لم تعد مثلما كانت بعد أن دمرها المغول، ولم تحتل بلد مكانتها في المشرق الإسلامي، وبالرغم من الهلاك والدمار والتخريب، فقد ولد الأمل من رحم اليأس والهلاك، وكتبت النجاة لتلك الأمة من جديد على يد رجالاتها من العلماء الذين قاموا بدور لا يستهان به في هذا المجال، حتى ظهر المماليك بدورهم الحربي البطولي للقضاء تماما على الأسطورة المغولية، وبعد أن نجح الظاهر بيبرس في إحياء الخلافة العباسية – ولو شكلية – في مصر التي أصبحت قبلة أنظار المسلمين وحاملة لواء الدفاع عن الإسلام والمسلمين ضد أكبر خطرين في العالم آنذاك وهما الخطر الصليبي والخطر المغولي(١).

رابعًا: وفاته:

وبعد شهور قليلة من وجود الطوسي في بغداد وبعد رحيل أباقاخان بقليل توفى نصير الدين الطوسي في العام نفسه وله خمس وسبعون سنة، وكان ذلك يوم غدير الشيعة (٦٧٢هـ/١٢٧٤م)(٢) ولذلك يرجع بن الفوطي أن وفاة الطوسي لم تكن بالأمر الطبيعي ويرجح انه قد انتحر، ويوافقه في هذا الرأي الأمير الأعسم، بينما صمتت المصادر الشيعية تماما عن ذكر هذا الأمر وهذا أمر منطقي ولا سيما أن الانتحار يعد مثلبة لشيخهم العظيم الذي تصدر زعامتهم بلا منازع(٣).

غير أنني لا أتفق مع هذا الرأي تماما، لأن الطوسي ليس بالشخصية التي تقوم بهذا الفعل المشين وفي هذا التوقيت وهذا العمر، بعد ما حققه من إنجازات وبعد أن بلغ من العمر أرذله، كما أن الانتحار يكون لعلة أو لشعور

(١) محمد فتحي أمين: الغزو المغولي، (الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠٠٥م)، ص١٢٧-١٢٨.

(٢) عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٣٤.

(٣) ابن الفوطي: مجمع الآداب، ص٣٤١؛ الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٥٥.

بالذنب، ولم يشعر الطوسي بذلك، حتى لو ثبت اشتراكه في مقتل الخليفة العباسي ولو عن طريق الرأي، فالطوسي شيعي اثني عشري والشيعة يرون في السنة أعداء لهم ومغتصبين للحكم منهم، وإن كان الطوسي ينوي الانتحار لكان ذلك أثناء عزلته وحيدا خائفا من الدمار المغولي، أو في قلاع الشيعة الإسماعيلية المخالفين له في المذهب، أو حتى في بلاط هولاكوخان العدو الجاهل.

وإن كانت حجة البعض في تأكيد انتحار الطوسي لكونه شعر بالإحباط لعدم صلاح بغداد أثناء زيارته الأخيرة لها مع أباقاخان[1]، فإن هذا غير منطقي أيضا لأن الأمور في بغداد كانت تسير على قدم وساق وبإشراف الطوسي نفسه الذي فضل البقاء في بغداد وعدم الرجوع مع السلطان ليباشر ذلك بنفسه، وكذلك وفاته بعد شهور قليلة من رحيل أباقاخان؛ وهذه الشهور ليست بكافية لإحباطه وإخفاقه في تنفيذ مشروعاته الإصلاحية في بغداد.

ولعل ما ذكره شمس الدين محمد الجويني الذي تولى أمر بغداد (٦٨١هـ/١٢٨٢م) في بداية حكم أحمد تكودار (٦٨١-٦٨٣هـ/١٢٨٢-١٢٨٤م) وبعد وفاة الطوسي بقليل؛ وصفها بأنها قد أصابها الفساد والدمار بعد أن كانت منظمة مرتبة في السنوات الماضية- أي السنوات التي كان فيها الطوسي مشرفا عليها-[2].

وعلى أية حال توفي الطوسي ودفن في بغداد في مشهد موسى بن جعفر، في سرداب قديم البناء، خال من الدفن. قيل إنه كان قد عمل للخليفة الناصر لدين الله، وقد شيعه صاحب الديوان وكبار القادة والموظفون والأعيان والعامة في بغداد، فكانت جنازته أشبه بحفل كبير، ودفن في مشهد الكاظم، وقبره

(١) الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٥٢.

(٢) رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ: م٢، ج٢، ص١٢٤.

لا يزال في الحضرة الكاظمية حتى الآن[١].

وقد شهد له الكثير من المؤرخين بحسن الصورة والسيرة والسمعة الحسنة والعلم والحلم والعقل والجود والكرم وحسن العشرة والصبر والجود والعزة وانه كان جليل القدر، جميل الفعال، سهل الأخلاق، كريم الطباع[٢]. اشتهر بعلمه في الافاق وزاع صيته في الاوساط، وصارت بينه وبين معاصريه من العلماء صلات قوية، استمرت تلك الصلات ولم تنقطع فيما بعد[٣].

وقيل عنه أيضا: إنه أحد الأفذاذ القليلين الذين ظهروا في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وأنه كان رأسا في علوم الأوائل، خبير بجميع العلوم، منفردا في أهل عصره، وإنه واحد من حكماء الإسلام المشار إليهم بالبنان وأطلق العلماء عليه لقب" العلامة"[٤].

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٠، ص١١٥، حاشية١، ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٢، ص٢٤٦؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص٧٩؛ أبو الفداء: المختصر، ج٤، ص٨؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٥١٠؛ عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج١، ص٢٧٨؛ عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٣٤؛ عباس سليمان: نصير الدين الطوسي، ص١٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٤٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٠، ص١٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٤٧؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١٨٦؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص٧٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٥، ص٢٥٢.

(٣) احتفلت جامعة طهران بمرور سبعمائة عام على وفاته . راجع: عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٣٤.

(٤) صلاح الدين: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٤٦؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص٧٩؛ أبو الفداء: المختصر، ج٤، ص٨؛ قدري حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، (طبعة المقتطف والمقطم، ، ١٩٤١م)، ص٢٠٢؛ نعمة: فلاسفة الشيعة، ص٥٣١.

وخلف الطوسي من الأولاد ثلاثة وهم: صدر الدين على والأصيل حسن، والفخر أحمد، وقد ولي صدر الدين بعد أبيه معظم مناصبه، فلما توفي ولي بعده اخوه الأصيل حسن، وكان صاحب قدر كبير عند المغول، وقدم الشام مع السلطان غازان، وولي الأوقاف فيها تلك الأيام وأخذ منها جملة، وعاد مع غازان، ثم ولي نيابة بغداد فأساء السيرة، فعزله السلطان غازان وصادر أمواله وأهانه، فمات غير حميد، وأما الفخر أحمد فقتله غازان لكونه أكل أوقاف الروم وظلم الناس[1] على ما يبدو أن صدر الدين على هو الوحيد من أبناء نصير الدين الطوسي الذي ورثه في العلم وحسن الأخلاق والسيرة بينما أخفق في ذلك الأصيل حسن والفخر أحمد .

ورغم الاختلاف حول شخصية نصير الدين الطوسي إلا أن هناك شبه إجماع واتفاق على علمه وقدره ومكانته ومخترعاته ومنجازاته العلمية التي غيرت وجه العالم الحضاري، وأسهمت بقدر كبير في الحفاظ على الهوية، وأصلت الحضارة الإسلامية، وبينت مدي قبولها للآخر بالاحتواء برغم التنوع الفكري والعقائدي.

لقد بقي التراث الإسلامي لعمق الحضارة الإسلامية وعبق تاريخها واحتوائه على علوم ومعارف شتى، وعادات وتقاليد، وما خلفه الأسلاف من موروثات ثقافية وحضارية، مادية كانت أو معنوية، وشاء القدر أن يكون نصير الدين الطوسي أحد بناة تلك الحضارة، وأصحاب العلوم والمؤلفات فيها، ومن المحافظين عليها المؤصلين لهويتها.

(١) ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٥١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٥٠؛ العسقلاني: الدرر الكامنة، ج١، ص٤٦٤؛ الأعسم: الفيلسوف نصير الدين، ص٥٣.

الخاتمة.....

انتهت الدراسة إلى عدة نتائج منها:

- كان الضعف والتخاذل والخيانة والتمزق السياسي والديني والفكري، أضف إلى ذلك الفوضى المذهبية، وضياع هيبة الخليفة، وعدم الإحساس بالمسؤولية الذي أصاب العالم الإسلامي خلال القرن ٦هـ/١٢م،وجعله مهيئا تماما لانتصار القوة المغولية، وهزيمة الدولة الإسلامية، وتدمير جزء ليس بالقليل من حضارتها وتراثها العظيم الذي ظل قرونا يتصدر المشهد دون منافس.
- تغيير الخريطة الطبوغرافية للعالم الإسلامي بعد قتل الآلاف من المسلمين وتشرد الكثير ممن نجا منهم في الأمصار الإسلامية، وزوال ما كان للحاضرة بغداد من نفوذ ومكانة سياسية ودينية.
- اختفت القوى الحربية المضادة للقوى المغولية وظهرت القوة الفكرية من بعض العلماء البارزين الذين اختصهم حكام المغول لبلاطهم، فكان لهم دور بارز في إدارة الصراع بين المغول والدولة الإسلامية، وذلك من خلال الفكر الإسلامي الذي ساعد بشكل كبير في ترويض القوى المغولية.
- كان الفيلسوف نصير الدين الطوسي احد العلماء البارزين الذين استطاعوا السيطرة على الفكر المغولي وحماية التراث الإسلامي من الدمار مما يدل على أن الانتصار على المغول لم يكن بردهم حربيا بقدر ما كان بفتح قلوبهم للإسلام وهدايتهم إليه.
- ظهر نصير الدين الطوسي وازدهر وسط الدمار والخراب فمثل كل مظاهر عصره السياسية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية.
- استطاع الطوسي بدبلوماسيته السياسية، أن ينال مكانة مرموقة عند الشيعة الاسماعيلية، وكذلك الاثني عشرية– مذهبه الأصلي–، وعند السنة – اللهم إلا تورطه غير المؤكد في مقتل الخليفة العباسي–، بل استطاع أن ينال نفس الحظوة والمكانة عند المغول أنفسهم.
- أثبت الأحداث أن نصير الدين الطوسي كان صاحب فكر شمولي عظيم جعله مقبولا عند مختلف الاتجاهات التي تختلف معه في التكوين العقائدي

وبالاخص عند الاسماعيلين، وأن هدفه الأساسي كان جمع شتات المسلمين بالعلم والفكر وهو ما فشلت فيه القوي السياسة في ذلك الوقت.

- تضاربت الآراء بين التأكيد والنفي لكون الطوسي اثني عشري مارس التقية في قلاع الإسماعيليين، أم إسماعيلي مارس التقية في بلاط هولاكو، ولا سيما في ظل إخلاصه للطرفين، ومن ثم نستطيع القول: أن الطوسي كان من وجهة نظرنا فيلسوفا شيعيا لأن الفلسفة لا تقتصر على مذهب.
- أثبتت الدراسة أن الطوسي لم يكن وزيرا للمغول كما أكد كثير من المؤرخين، بل كان كاتبا ومستشارا أمينا لهم، ومن خلال ذلك استطاع السيطرة على الفكر المغولي لصالح مشروعه الكبير.
- كان لنصير الدين الطوسي مشروعا علميا استطاع أن ينفذه بإتقان، فانكب على علمه وأبدع وسط كل ما صادفه من معوقات، مما يدل على أن هدف الطوسي الأول لم يكن دينيا بقدر ما كان اجتماعيا وحضاريا.
- استطاع الطوسي بالفكر أن ينقذ العلم والعلماء وما تبقي من التراث الإسلامي، بل استطاع ومن معه من العلماء، عمل نهضة علمية شاملة، وسط دمار وخراب المغول.
- يعود الفضل للطوسي في إنشاء مرصد مراغة، ومجمعها العلمي، والزيج الإيلخاني، بل ترك لنا المؤلفات العلمية في شتي المجالات السياسية والتاريخية والفلسفية، والدينية، وفي الفلك والرياضيات. وغيرها من المؤلفات التي تعد تراثا علميا آخر، وشكلت الفكر الإسلامي.

-كانت مجهودات الطوسي الفكرية سببا في حماية الدولة الإسلامية خلال فترة عصيبة من فتراتها، حتى ظهرت القوة الحربية، من خلال المماليك، وانتقلت الزعامة السياسية إلى مصر التي أخذت على عاتقها استكمال المواجهة الحربية، جنبا إلى جنب مع المواجهة الفكرية، لاستعادة الزعامة والمكانة المفقودة. وقد نجح الطرفين في الانتصار الحربي على القوة التي لا تقهر، وكذلك الترويض الفكري الذي حول المغول من أعداء للإسلام إلى مدافعين عنه.

وبناء عليه توصي الدراسة: بإلقاء الضوء على علماء المسلمين وإظهار دورهم العلمي الفعال في الخريطة المعرفية الدولية. والتركيز على الجوانب الإيجابية وعدم التوقف عند السلبيات فقط، ومحاولة الاستفادة من تجارب الماضي لتحقيق نهضة علمية مستقبلية.

الملاحق:

ملحق رقم (١)

القلاع الإسماعيلية التي خضعت للمغول .

اسم القلعة	الإقليم	القائد الذى أخضعها	كيفية إخضاعها	التاريخ
تون	قهستان	كتبغانوين	حربا	٦٥١هـ/١٢٥٣م
ترشيز	قهستان	كتبغانوين	حربا	٦٥١هـ/١٢٥٣م
شاه	قهستان	كتبغانوين	حربا	٦٥١هـ/١٢٥٣م
مهرين	قهستان	كتبغانوين	حربا	٦٥١هـ/١٢٥٣م
كمالى	قهستان	كتبغانوين	حربا	٦٥١هـ/١٢٥٣م
زيركو	قهستان	كتبغانوين	حربا	٦٥١هـ/١٢٥٣م
ال بوشين	رودبار	هركتاى	حربا	٦٥١هـ/١٢٥٣م
المنصوريه	رودبار	هركتاى	حربا	٦٥١هـ/١٢٥٣م
فران	رودبار	هولاكو	حربا	٦٥٤هـ/١٢٥٦م
شاه دز	رودبار	هولاكو	حربا	٦٥٤هـ/١٢٥٦م
الموت	رودبار	هولاكو	حربا	٦٥٤هـ/١٢٥٦م
ميمون دز	رودبار	هولاكو	حربا	٦٥٤هـ/١٢٥٦م
ما يزيد عن تسعين قلعة	قومس رودباروقهستان	هولاكو	سلما	٦٥٤هـ/١٢٥٦م
لمبسر	قهستان	طايربوقا	حربا	٦٥٥هـ/١٢٥٧م

نقلا عن: رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ، ج٢، ص٦٩٧.

ملحق رقم(٢)

مؤلفات الطوسي في قلاع الإسماعيلية:

يبدو أن الفترة الممتدة من سن (٦٢٥هـ/١٢٢٨م) إلى (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) هي أخصب فترات الطوسي العلمية التي ألف فيها وهي على النحو الآتي:

١-أخلاق محتشمي فرغ منه سنه ٦٣٠هـ

٢-أخلاق ناصري فرغ منه سنه٦٣٣هـ

٣-شرح الاشارات انتهي منهسنه٦٤٤هـ

٤-أساس الاقتباس فرغ منه سنه٦٤٢هـ

٥-مطلوب المؤمنين

٦-روضه التسليم أو التصورات

٧-روضه القلوب

٨-رسالة في التولي والتبرى

٩- اوصاف الاشراف

١٠-تحرير المجسطي: الذى اكمل الطوسي تحريره سنه٦٤٤هـ

١١-تحرير اصول الهندسه لاقليدس:فرغ منه في ٢٢شعبان سنه٦٤٦هـ

١٢-تحرير اكرامانالاوس

١٣-تحرير كتاب ثارذوسيوس في الايام والليالي

١٤- تحرير كتاب ارسطرخس في جرمي النيرين وبعديهما

١٥-تحرير كتاب ابسقلاوس في المطالع

١٦-تحرير كتاب الطلوع والغروب لاوطولوقسي

١٧- تحرير كتاب المساكن لثاوذوسيوس

١٨-تحرير كتاب الاكرلثاوذوسيوسفرغ منه٦٥١هـ

١٩-تحرير كتاب معرفه مساحه الاشكال البسيطه والكريه لبني موسي ابن شاكر

٢٠-تحرير كتاب المعطيات في الهندسه لاقليدس

٢١-تحرير كتاب المأخوذات في الهندسه لارشميدس

٢٢–تحرير كتاب الكرة والاسطوانه لارشميدس

٢٣–تحرير كتاب الكره المتحركه لاوطولو قس فرغ منه ٦٥١هـ

٢٤– شرح كتاب الثمره في احكام النجوم لبطلميوس

٢٥– كتاب المتوسطات في الهندسه والهيئه

٢٦–التذكره الناصيريه في العيئه

٢٧– زبدة الإدراك في هيئة الأفلاك

٢٨– الرسالة المعينية في علم الهيئة ألفها الطوسي لابن معين الدين شمس الشموس ابن ناصر الدين الإسماعيلي

٢٩– رسالة حل ما لا يحل

٣٠– بيست بابدير معرفت اسطرلاب

٣١– تقويم علائي:ألفه لعلاء الدين محمد الاسماعيلي.

نقلا عن: عباس الغزاوي: تاريخ علم الفلك، ص٢٤؛ الاعسم: نصير الدين الطوسي، ص٣١–٣٤؛ عباس سليمان: الطوسي كاتب قلعة ألموت، ص١١٧–١١٨.

ملحق رقم (٣)

فهرس اسماء ايلخانات الدوله الايلخانيه في ايران والعراق

اسم الخان	تاريخ هجري	تاريخ ميلادي
هولاكو	٦٥٤-٦٦٣	١٢٥٦-١٢٦٤
أباقاخان	٦٦٣-٦٨٠	١٢٦٤-١٢٨١
احمدتكودار	٦٨١-٦٨٣	١٢٨٢-١٢٨٤
ارغون	٦٨٣-٦٩٠	١٢٨٤-١٢٩١
كيخاتو	٦٩٠-٦٩٤	١٢٩١-١٢٩٤
بايدو	٦٩٤	١٢٩٤
غازان	٦٩٤-٧٠٣	١٢٩٤-١٣٠٣
محد خدباندا(اولجايتو)	٧٠٣-٧١٦	١٣٠٣-١٣١٦
أبو سعيد بهادر خان	٧١٦-٧٣٦	١٣١٦-١٣٣٥
اربخان	٧٣٦	١٣٣٥
موسي	٧٣٦	١٣٣٥

إعداد الباحثة

ملحق رقم (٤)

فهرس أسماء وزراء دولة المغول الإيلخانيين في إيران والعراق

اسم الوزير	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
ابن العلقمي	٦٥٧	١٢٥٩
علاء الدين الجويني	٦٥٧-٦٨٢	١٢٥٩-١٢٨٤
شمس الدين الجويني	٦٦١-٦٨٣	١٢٣٦-١٢٨٥
بوقا	٦٨٣-٦٨٨	١٢٨٥-١٢٩٠
سعد الدوله اليهودي	٦٨٨-٦٩٠	١٢٩٠-١٢٩١
صدر الدين الزنجاني	٦٩٧-٧١١	١٢٩١-١٢٩٧
سعد الدين الساوجي	٦٩٧-٧١٨	١٢٩٧-١٣١١
رشيد الدين الهمذانى	٦٩١-٧١٨	١٢٩٧-١٣٢٠
علي شاه الجيلاني	٧١١-٧٢٤	١٣١٣-١٣٢٦
غياث الدين بن على شاه	٧٢٤	١٣٢٦
ركن الدين صاين	٧٢٤-٧٢٥	١٣٢٥-١٣٢٦
دمشق خواجه	٧٢٥-٧٢٧	١٣٢٦-١٣٢٧
غياث الدين بن رشيد الدين	٧٢٧-٧٦٣	١٣٢٧-١٣٣٦

نقلا عن: الغزاوي: العراق بين احتلالين، ج١، ص١٥٠

ملحق رقم (٥)

مؤلفات الطوسي:

الكتاب	التصنيف
كتاب التبيان في تفسير القرآن	على التفسير
كتاب النهاية في مجرد الفقه والفتاوى	علم الفقه
كتاب المبسوط في الفقه	علم الفقه
كتاب الخلاف	علم الفقه
كتاب العدة فى الأصول	علم أصول الفقه
كتاب شرح الشرح فى الاصول	علم أصول الفقه
كتاب مسألة العمل بخبر واحد وبيان حجته	علم أصول الفقه
كتاب تلخيص الشافي في الإمامه	علم الكلام
كتاب الغيبة للحجة	علم الكلام
كتاب الإقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد	علم الكلام
كتاب المفصح في الإمامة	علم الكلام
كتاب مصباح المتجهد فى أعمال السنه	الزيارات والادعية
كتاب الفهرست	علم الرجال
كتاب رجال الطوسى	علم الرجال
اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي	علم الرجال
كتاب الامالى او المجالس	علم الحديث
تهذيب الاحكام	علم الحديث
الاستبصار فيما اختلف من الاخبار	علم الحديث
الرسائل العشر	

راجع : الزركلى(خير الدين بن محمود): الاعلام ،ج٦، دار العلم للملايين،ط١٥، ٢٠٠٢م،ص٨٤؛ ناصر ،عباس جاسم : محمد بن الحسن الطوسى: نشأته واثاره العلميه،جامعة البصرة، مركز دراسات البصره والخليخ العربى ، مج٤٦،ع٣,٤، ٢٠١٨،ص٤٣٩

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

١- الإربلي (المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي، المعروف بابن المستوفي، ت: ٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، **تاريخ إربل**، ج١، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، (وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م).

٢- البغدادي (عبد القادر بن طاهر بن حمد البغدادي، ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م): **الفرق بين الفِرَق**، تحقيق: حمد محي الدين عبد الحميد، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥).

٣- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، ت: ٧٧٩هـ): **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج١، (أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ).

٤- ابن تغري البردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، ت٨٧٤هـ): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج٧، تعليق: محمد حسين شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م).

٥- _____: **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، ج٢، تحقيق: احمد يوسف بخاتي، (مطبعة دار الكتب المصري، القاهرة، ١٩٥٦م).

٦- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي، ت٨٠٨): **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج٨، تحقيق: خليل شحادة، (دار الفكر، بيروت، ط٢،١٩٨٨م).

٧- الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب، ت:٣٨٧هـ): **مفاتيح العلوم**، ج١، تحقيق: إبراهيم الإبياري، (دار الكتاب العربي، ط٢، د.ت).

٨- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، ج١٥، تحقيق: بشار عوّاد معروف، (دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ م).

٩- _____: **سير أعلام النبلاء**، ج٣٢، (دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

١٠-سبط ابن العجمي (موفق الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، ت: ٨٨٤هـ): **كنوز الذهب**، ج١، (دار القلم، حلب، ١٤١٧هـ).

١١-الرازي: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م) : **معجم مقاييس اللغة**، ج٦، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٩٧٩م).

١٢-رشيد الدين الهمذاني: **جامع التواريخ**، م٢،ج١، تحقيق: فؤاد الصياد، محمد صادق نشأت، (دار إحياء الكتب، د، ت).

١٣-السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، ت: ٧٧١هـ): **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٨، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، (هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ).

١٤-ابن سينا (أبو على شرف الملك الحسين بن عبد الله بن سينا، ت ٤٢٨هـ/١٠٣٧ م): **الإشارات والتنبيهات، شرح نصير الدين الطوسي**، تحقيق: سليمان دنيا، القسم الرابع في التصوف، (مؤسسة النعمان للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م).

١٥-السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: ٩١١هـ): **تاريخ الخلفاء**، ج١، تحقيق: حمدي الدمرداش، (مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٤م).

١٦-ابن شاكر (محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون الملقب بصلاح الدين، ت: ٧٦٤هـ): **فوات الوفيات**، ج٢، تحقيق، إحسان عباس، (دار صادر – بيروت، ١٩٧٣).

١٧-الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد، ت: ٥٤٨هـ): **الملل والنحل**، (مؤسسة الحلبي، د.ت).

١٨-الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، ت٧٦٤هـ) : **الوافي بالوفيات**، ج١، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، (دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م).

١٩-_____: **أعيان العصر وأعوان النصر**،ج٤، تحقيق، على أبو زيد، نبيل أبو عشمة، محمد موعد، محمود سالم محمد، مازن عبد القادر المبارك، (دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م).

٢٠-الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، ت:٣١٠هـ/٩٢٢م): **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري**، ج٢٠، تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

٢١-ابن العبري (غريغوريوس ابن أهرون بن توما الملطي، ت: ٦٨٥هـ): **مختصر تاريخ الدول**، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، (دار الشرق، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م).

٢٢-العسقلاني(أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن حجر، ت: ٨٥٢هـ): **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ،ج٤، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، (مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد، الهند، ط٢، ١٩٧٢م).

٢٣-_____: **لسان الميزان**، ج٧، تحقيق، دائرة المعرف النظامية، الهند، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط٢، ١٩٧١م).

٢٤-ابن العماد (شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، ت١٠٨٩هـ): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج٧، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦م).

٢٥-أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن على بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، ت: ٧٣٢هـ): **المختصر في أخبار البشر**، ج٣، (المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ب.ت).

٢٦-ابن الفوطي (كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي، ت: ٧٢٣هـ): **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج٣، تحقيق: محمد الكاظم، (مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ١٤١٦هـ).

٢٧-القزويني (زكريا بن محمد بن محمود، ت: ٦٨٢هـ): **آثار البلاد وأخبار العباد**، ج١، (دار صادر، بيروت، د.ت).

٢٨-القلقشندي (أحمد بن على بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهر، ت: ٨٢١هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج٦، (دار الكتب العلمية، بيروت).

٢٩-ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، ت٧٤٤هـ): **البداية والنهاية**، ج١٣، تحقيق: على شيري، (دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م).

٣٠-الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي) (ت: ٤٥٠هـ/١٠٥٨م): **تفسير الماوردي= النكت والعيون**، ج٤، تحقيق، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان).

٣١-المقريزي (أحمد بن على بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، ت: ٨٤٥هـ): **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج١، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت، ١٩٩٧م).

٣٢-المكي(عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي، ت: ١١١١هـ): **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، ج٣، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م).

٣٣-ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، ت: ٧١١هـ/١٣١١م) : **لسان العرب**،ج٢، (دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ).

٣٤-ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي، ت٦٢٦هـ): **معجم البلدان**، ج٥، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م).

٣٥-اليعقوبي (أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، ت: بعد ٢٩٢هـ): **البلدان**، ج١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ).

٣٦-اليونيني(قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني، ت: ٧٢٦ هـ): **ذيل مرآة الزمان**،ج٣، بعناية: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م).

ثانيًا: المراجع:

٣٧-إسماعيل بن محمد بن أمير سليم الباباني البغدادي: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج٢، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان).

٣٨-السيد الباز العريني: **المغول**، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م).

٣٩-أكرم ضياء العمري: **التراث والمعاصرة**، (سلسة كتاب الأمة، ١٤٠٥م).

٤٠-أيمن فؤاد الصياد: **المغول في التاريخ**، ج١، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م).

٤١-حسن الأمين: **الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي**، (مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط٢، ١٩٩٧م).

٤٢-_____: **أعيان الشيعة**، ج٩، (دار المعارف، بيروت، ب.ت).

٤٣-خير الدين بن محمود الزركلي: **الأعلام**، ج٧، (دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢ م).

٤٤-خواندمير: **دستور الوزراء**، تعليق: فؤاد عبد المعطي الصياد، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م).

٤٥-عباس سليمان: **نصير الدين الطوسي كاتب قلعة الموت**، (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٥م).

٤٦-عباس العزاوي: **العراق بين احتلالين**،-١- **حكومة المغول**،"٦٥٦-٧٣٨هـ/١٢٥٨-١٣٣٨م"، (مطبعة بغداد، العراق،١٩٣٥م).

٤٧-_____: **تاريخ علم الفلك في العراق**، (مطبوعات المجمع العلمي العراقي، العراق، ١٩٥٨م).

٤٨-عبد الأمير الاعسم: **الفيلسوف نصير الدين الطوسي "مؤسس المنهج الفلسفي في علم الكلام الإسلامي"**، (دار الأندلس للطباعة والنشر، د.ت).

٤٩-عبد الله نعمة: **فلاسفة الشيعة حياتهم وارائهم**، تقديم: محمد جواد منغية،(دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٨٧م).

٥٠-الخواجة نصير الدين الطوسي: **اخلاق ناصري**، ترجمه: محمد صادق فضل الله، (دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٨م).

٥١-فؤاد الصياد: **الشرق الإسلامي في عهد اسرة الايلخانيين (اسرة هولاكوخان)**، (منشورات مركز الوثائق والدراسات الانسانية، جامعة قطر، ١٩٨٧م).

٥٢-قدري حافظ طوقان: **تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك**، (طبعة المقتطف والمقطم، ١٩٤١م).

٥٣-محمد فتحي امين: **الغزو المغولي**، (الاوائل للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠٠٥م).

٥٤-يحيى حسن على مراد: **آداب العالم والمتعلم عند المفكرين المسلمين من منتصف القرن الثاني الهجري وحتي نهاية القرن السابع**، (دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان).